يعقوب، «أخو الربّ»، والكنيسة في أوّل عهدها
قراءة في كتابَين حديثَين*

الدكتور رولان طنب**

مَن كان يعقوب «أخو الربّ»، الذي قُتل ثلاثين سنة بعد موت يسوع ووُصف غالبًا بأنّه ابن عمّه؟ كان شخصيّةً سادت كنيسةً حديثةَ العهد ومترسّخة ترسُّخًا شديدًا في يهوديّة زمنها، وأمينة للشريعة الموسويّة، فكان يعقوب يفوق بطرس جاهًا وسلطةً ويعارض بولس، لكنّ أفكار بولس تغلّبت في آخر الأمر وأدّت إلى الفصل بين المسيحيّة واليهوديّة.

إنصرف بِرْنهايْم (Bernheim) إلى إعادة اعتبار حاسمة إلى رجل لم يقدَّر حقّ قدره وبدا محفوفًا بالغموض، في خاتمة تحقيق يستحوذ على الانتباه حول أوائل الكنيسة. فهو يقترح نظرة مجدَّدة إلى الفريق «المسيحيّ المتهوِّد»، ويمكّننا أن نعود إلى اكتشاف كنيسة «لم تكن سائرة في اتّجاه التاريخ».

الكتّاب والمصادر

يروي المؤرِّخ اليهوديّ فلافيوس يوسيفس (٣٧-١٠٠) إعدام «يعقوب، أخي يسوع الملقَّب بالمسيح، المتَّهم بمخالفة الشريعة، عن يد عظيم الكهنة حَنّيا»، في السنة ٦٢م. «فاغتاظ الذين كانوا أشدّ سكّان أورشليم اعتدالًا وكانوا يحفظون الشريعة على أدقّ وجه»[1]، وهذا ما أدّى إلى فصل حَنّيا، بالرغم من انتمائه إلى أسرة ذات نفوذ وإلى سلالة ذات جاه من عظماء الكهنة. ويجمع أهل

(*) يعقوب أخو الربّ (*Jacques, frère de Jésus*) Pierre - Antoine BERNHEIM, Editions Noêsis, Paris, 1997, 390 pp.

مهد المسيحيّة (*L'enfance du christianisme*) Etienne TROCMÉ, Editions Noêsis, Paris, 1997, 280 pp.

(**) أستاذ في كلّيّة الطبّ التابعة لجامعة القدّيس يوسف، وخرّيج المعهد الكاثوليكيّ في باريس ومعهد اللاهوت البروتستانتيّ في إستراسبورغ.

(١) Flavius JOSÈPHE, *Antiquités Juives* 18, 63-64, Paris, Librairie Ernest Leroux, 1929.

الخبرة على أنّ ما كتبه يوسيفس هو أصليّ وليس ثمرة تحريف لاحق. فيدو يعقوب شخصًا ذا شأن، علمًا بأنّ فلافيوس يوسيفس لا يذكر بطرس ولا بولس ولا شخصًا آخر من أشخاص الكنيسة في أوّل عهدها.

هذا وإنّ الإنجيليّين متّى (١٣/٥٥) ومرقس (٦/٣) يذكران أسماء إخوة يسوع الأربعة، وهم يعقوب ويوسى (يوسف) ويهوذا وسمعان. وكلاهما يذكران يعقوب أوّلًا.

وتبرز أيضًا أهمّيّة دوره من عدد المرّات التي يشير إليه بولس خصمه الأكبر في رسائله. فإنّ ذكره يأتي في الكلام على أوائل الذين حصلوا على ترائيات القائم من الموت (١ قور ١٥/٧). ثمّ إنّ رسائل بولس، ومن الراجح أنّها أقدم أسفار العهد الجديد، لأنّها حُرّرت في الخمسينات، ترينا يعقوب، «أخا الربّ»، أحد رؤوساء الكنيسة في أوّل عهدها. فقد ورد ذكره ثلاث مرّات في الرسالة إلى أهل غلاطية: يوصَف بأنّه، إلى جانب بطرس ويوحنّا، «أحد أركان الكنيسة»، وهو الذي يُذكَر أوّلًا هنا أيضًا. وينوّه بولس بالدور الذي قام به في «مجمع أورشليم»، وعند وقوع «حادثة أنطاكية»، وهي أحداث جازمة مكّنت من البتّ هل يجب أم لا أن يَخضع المهتدون المتحدّرون من أصل غير يهوديّ للشريعة الموسويّة.

وفي أعمال الرسل، يظهر أيضًا يعقوب رئيس كنيسة أورشليم، فهو الذي ترأس «مجمع أورشليم» وهو الذي حَسَمَ المناقشات (رسل ٢٥/٦-٢٩).

وجاء الأدب المسيحيّ اللاّحق أكثر إسهابًا، فخلط بلا رويّة بين التاريخ والأسطورة. فيسلّم الكاتب يِرْنهايم «بأنّه لا يمكننا أن نروي سيرة يعقوب، كما نستطيع أن نفعله بشجاعة وتخيُّل في رواية سيرة بولس». وهو يستشهد بمؤلّفات غير قانونيّة تصف بإسهاب تلك الشهرة الواسعة وشبه الأسطوريّة التي تمتّع بها هذا الشخص في القرون الثلاثة الأولى.

ويشدّد الأدب الإقليمنضسيّ المتّحَل على أوّليّة يعقوب «الموصوف بأسقف الأساقفة»، أي «بالبابا الأوّل، بغضّ النظر عن استباق الوقت»، كما يشير يِرْنهايم إليه.

وفي أحد النصوص المنحولة، وهو إنجيل المبرانيّين، يُنعم المسيح القائم من الموت على يعقوب بامتياز التراثي الأوّل. وفي نظر إقليمنضس الإسكندريّ (حوالى السنة ٢٠٠)، أصبح يعقوب السلطة العُليا في الكنيسة بعد موت المسيح. والقدّيس إبيفانيوس السلاميّ (٣١٥-٤٠٣)، في كتابه في الرجال

المشهورين، يخصّه بالنبذة الثانية بعد النبذة المختصّة ببطرس. وأمّا أوسابيوس القيصريّ (حوالى السنة ٣٢٠)، فإنّه يلفت النظر إلى صدارة «أخي الربّ»، يعقوب، الذي وُلّي على إدارة شؤون الكنيسة مع الرسل. ومنذ أيّام الربّ حتّى يومنا، يسمّيه جميع الناس «البارّ».

وهناك عدّة نصوص غنوصيّة، من التي وُجدت بين مخطوطات نجع حمادي، تعترف ليعقوب بوضع متفوّق في أوّل عهد الكنيسة. وفي إنجيل توما، يشير يسوع إلى «يعقوب البارّ» كإلى مَن يجب أن يخلفه، وفي رسالة يعقوب المتحولة، يكشف يسوع تعليمه ليعقوب خاصّةً ولبطرس. وفي رؤيا يعقوب المزدوجة، يسلّم يسوع إلى يعقوب تعليمًا سرّيًّا، غنوصيًّا بكامله.

وفي نظر يرْنهايم، فإنّ «الصدارة» المعترَف بها ليعقوب في التقاليد المسيحيّة المتهوّدة والكاثوليكيّة والغنوصيّة هي أمر يلفت الانتباه إلى أقصى حدّ (..). ومع ذلك، فإنّ «أخا الربّ» يبقى مجهولًا إلى حدّ بعيد من قِبَل أغلبيّة المسيحيّين. إنّ المساوي لبطرس وبولس، لا بل المتفوّق عليهما في انطلاقة الكنيسة، تراه اليوم يقلّ أهمّيّة عن ذلك الذي يعدّه الكاثوليك أوّل بابا وعن ذلك الذي يُجمع الناس على وصفه «بأمير اللاهوتيّين».

لا شكّ أنّ سلطة يعقوب في الكنيسة، التي تستند إلى سلطة «إخوة الربّ»، تتّسم بطابع سُلاليّ، كالخلافة في الإسلام. ومن جهة أخرى، فإنّ خليفة يعقوب على رأس كنيسة أورشليم كان سمعان، ابن عم يسوع. ومع ذلك، يجب الإشارة إلى أنّ يعقوب، الذي كان يُعرف بأنّه أخو يسوع (أو أخوه من أبيه)، أصبح يُعدّ، بتأثير من القدّيس هيرونيمس، أحد الرسل، يعقوب الأصغر، الذي ورد ذكره في مر ١٥/ ٤٠. وقد احتفظت الكنيسة الكاثوليكيّة بهذه الهويّة، خلافًا للكنائس الأرثوذكسيّة التي تحتفل بذكرى كلّ واحد منهما على حدة.

فالكاتب يحاول أن يجيب على الكثير من التساؤلات التي تثيرها النصوص:

- أيًّا كانت صلة القرابة بين يعقوب ويسوع؟ هل كان أخاه، كما يدّعو إليه تفسير حرفيّ للعهد الجديد، أو ابنَ عمّه، كما يفترضه التقليد الكاثوليكيّ في خطى هيرونيمس، أو أخاه من أبيه، كما ظنّه الكثير من آباء الكنيسة؟ وإلى أيّة درجة ساعدت صلة القرابة يسوع وصولَه إلى رأس الكنيسة؟
- وأيًّا كان نوع علاقاته ببطرس؟

- وهل أيّد نشاطَ بولس الإرساليّ، كما توصي به أعمال الرسل، أم هل اتُّخذ مرقفًا أشدّ تحفّظًا، لا بل عدائيًّا، كما تلمّح إليه بعض رسائل بولس والتقليد المسيحيّ المتهوِّد؟
- ولماذا أثار إعدامه عن يد عظيم الكهنة حتّى احتجاجَ الفرّيسيّين وفصل عظيم الكهنة؟
- وماذا حلّ بالمسيحيّين المتهوّدين بعد موته، وكيف يفسَّر أنّ النسيان قد طواه في التقليد المسيحيّ؟

«إخوة» يسوع

يعرض الكاتب بتوسّع ودقّة مشكلة إخوة يسوع وأخواته. وهو يحلّل ويشرح، في ٢٢ صفحة، جميع النظريّات المطروحة، ويحاول أن ينتزع يقين القارئ بالاستناد إلى الشهادات الكتابيّة والحجج المبنيّة على فقه اللغة.

في عدّة مرّات تذكر الأناجيل إخوة يسوع وأحيانًا أخوات يسوع، كما نرى ذلك في الحادثة التي يرويها مرقس في ٣/ ٣١. وإذا صحّ أنّ متّى ومرقس يفيداننا عن عدد الإخوة وعن أسمائهم، فإنّ عدد الأخوات وأسماءهنّ لا تُروى في أيّ نصّ من النصوص. وفي أغلب المصادر المأخوذة من الأناجيل ومن أعمال الرسل، يرتبط ذكر إخوة يسوع بذكر مريم أمّه. وفي بعض الفقرات، يبدو أنّ إخوة يسوع يعارضون تلاميذه صراحة. وفي هذه الحالات، ليس من السهل أن تتّخذ كلمة «أخ» معنى الرفيق المجازيّ.

ومن جهة أخرى، لا يخفى علينا أنّ استعمال لفظة «أخ» بمعانٍ واسعة في الشرق الأدنى القديم والحديث يتضمّن مفهومَي الأخ من أبيه أو أمّه، والقريب. ففي العهد القديم، يُسمَّى أبناء يعقوب الاثنا عشر «إخوة»، مع أنّهم من أربعة زواجات مختلفة (تك ٣٧/ ٤)، كما أنّ إبراهيم يعدّ نفسه «أخا» ابن أخيه لوط (تك ١٣/ ٨). ثمّ إنّ مفهوم «ابن عم» أو «ابن خال» لا يعبَّر عنه بكلمة واحدة في العبريّة (ولا في العربيّة). فالعهد القديم يستعمل عبارة «ابن عم» (في العبريّة: «بن دود»). أمّا اليونانيّة: فتجد فيها لفظة «أَدِلْفُس» ἀδελφός التي تُستعمل استعمالًا واسعًا للدلالة على الأخ (أو الأخ من أبيه أو أمّه)، في حين تُستعمل لفظة «أَنِيبيوس» ἀνεψιός للدلالة على «ابن العم» أو «ابن الخال». فالقدّيس بولس يستعملها في الكلام على مرقس، الذي هو ابن عم برنابا (قول ٤/ ١٠).

وهذه الأحوال تتحكّم في تفسير روابط القرابة القائمة بين يسوع والذين يسمّيهم العهد الجديد إخوته وأخواته. وهناك ثلاث نظريّات:

النظريّة الأولى، وهي الأقرب إلى المعنى الطبيعيّ، تلخّص في الاعتقاد بأنّ المقصود هنا هم إخوة وأخوات تجمع بينهم رابطة الدم، أي أبناء وبنات مريم ويوسف، المولودين بعد يسوع. وهذه النظريّة يرتبط بها اسم هِلْفيديوس (Helvidius)، وهو أحد المدافعين عنها في نهاية القرن الرابع، مع أنّ هناك مَن أثبتها قبل هذا التاريخ، ولا سيّما طرطليانس (+ ٢٢٥). ولقد عرفت رواجًا جديدًا في نهاية القرن الثامن عشر. أمّا في أيّامنا، فإنّها تتمتّع بتأييد أغلبيّة المفسّرين البروتستانت، إلى جانب عدّة مفسّرين كاثوليك بارزين. فالدومنيكانيّ فرنسوا رِيفُوليه (Refoulé)، مدير مدرسة أورشليم الكتابيّة السابق، الذي يستشهد به الكاتب، يقول: «في نظر المفسِّر والمؤرِّخ، من الراجح أنّ إخوة يسوع وأخواته هم إخوة وأخوات تجمع بينهم رابطة الدم». ذلك بأنّ كلمة «أدِلْفُس» اليونانيّة، التي تَرِد في جميع الفقرات الواضحة تدلّ عادةً على إخوة مولودين من أب واحد وأمّ واحدة، أو على الأقلّ، من أمّ واحدة. فيبدو المعنى المجازيّ مستبعَدًا، ومن جهة أخرى، يظهر إخوة يسوع برفقة مريم دائمًا.

والنظريّة الثانية، وأشهر المدافعين عنها هو إپيفانيوس السلاميّ (القرن الرابع)، تزعم أنّ إخوة يسوع وأخواته هم أولاد يوسف، وُلدوا من زواج أوّل. وبما أنّها لا تتعارض مع بتوليّة مريم الدائمة، وتستند إلى استعمال كلمة «أدِلْفُس» وإلى حضور الإخوة بالقرب من مريم، فهي تبقى الافتراضَ الذي يفضّله كثير من الكنائس الشرقيّة. غير أنّها تعسّر علينا أن نفهم لماذا يشدّد لوقا على بِكْريّة يسوع من حيث ميراث مملكة داود.

أمّا النظريّة الثالثة، التي تجعل من إخوة يسوع وأخواته أبناء عم أو أقارب، فهي ترتبط بالقدّيس هيرونيمس الذي تهجّم بعنف، في مؤلَّف بعنوان ردّ على هِلْفيديوس، على نظريّة الإخوة الذين تجمع بينهم رابطة الدم. يذكّر پِرْنهايم بأنّ بولس حرَّر رسائله باليونانيّة (ومن الراجح أنّها كانت لغة مولده) ويتساءل «لماذا بولس، الذي كان يعرف يعقوب معرفة شخصيّة وكان من المفترَض أن يعرف نوع قرابته الصحيح مع يسوع، لم يستعمل كلمة «أنِيسيوس»، إن كان إخوة يسوع أولاد عمّه»؟. ومن جهة أخرى، يصف فلافيوس يوسيفس يعقوب بأنّه «أخو يسوع»، مع أنّ يوسيفس كثيرًا ما يستعمل كلمة «أنِيسيوس» في مؤلّفاته.

من الواضح أنّ نظريّة هِلْفيديوس هي التي يفضّلها كاتبنا. نذكر، في هذا الصدد، ما كتبه مؤخّرًا لاهوتيّ كاثوليكيّ آخر، ميشال كُيِنيل[٢] (Quesnel): «إنّ

---

(٢) Michel QUESNEL, *Le Monde de la Bible*, 1997, 105, 25.

الأفضليّة التي تُمنَح لإحدى النظريّات لا تستند إلى حجج تاريخيّة، بل إلى خيارات لاهوتيّة ومذهبيّة».

الجماعة المسيحيّة المتهوّدة

كان يعقوب ألمع رمزٍ وممثّلٍ لكنيسة حديثة العهد ومتأصّلة في التقليد اليهوديّ. فإنّه كان يَعدّ يسوعَ العاملَ الأخيريّ (eschatologique) الذي اختاره يَهوه للإنباء بحلول ملكوت الله الوشيك ولدعوة بني إسرائيل إلى التوبة. وكان يعقوب يعتقد بأنّ ما وُعد به إسرائيل بدأ يتحقّق عن يد يسوع. وإن استثنينا اعتقاده بوضع يسوع ورسالته الفريدَين وبعضَ الممارسات الطقسيّة الخاصّة، فلم يكن فيه أيُّ شيء يميّزه عن الكثير من يهود زمنه. فلو أخبرناه بأنّه كان ينضمّ آنذاك إلى ديانة جديدة، لوقع، ولا شكّ، في الدهش.

وكان يعقوب يعارض بولس ورسالته التي كانت تتضمّن تحديدًا جديدًا لهويّة إسرائيل ولدور الشريعة. وكان بولس يفكّر في جماعة موحّدة من يهود وغير يهود، تتجاوز حدود الدين اليهوديّ التقليديّة ونوعيّته. ولهذا السبب كثيرًا ما عُدَّ يعقوب رمز جماعة مسيحيّة متحجّرة، تعجز عن الشعور بطابع رسالة يسوع الجذريّ وبكلّ ما تنطوي عليه قيامته. ولكنّ الجماعات التي كانت تعترف بسلطته، حوالى السنة ٦٢، يوم سيق إلى العذاب، كانت تؤلّف، على الأرجح، أكثريّة العالم المسيحيّ الساحقة. وكان لموته تأثير شديد جدًّا في تلاميذ يسوع، ولا شكّ أنّ خراب الهيكل، بعد ذلك ببضع سنوات، وضع حدًّا لأوّليّة كنيسة أورشليم. فإنّ الدين المسيحيّ فقد مركز ثقله الجغرافيّ والروحيّ والتعليميّ. وازدادت كنائس أنطاكية وروما والإسكندريّة استقلالًا ونفوذًا على مرّ الأيّام.

هذا وإنّ تدمير أورشليم في السنة ٧٠ أدّى، في آخر الأمر، إلى تهميش المسيحيّين المتهوّدين، في كنيسة تميل إلى أفكار بولس ويسيطر عليها غير اليهود. فإنّ المسيحيّين المتهوّدين الذين كانوا يطالبون بهويّتهم اليهوديّة كوّنوا مدّة طويلة إحدى الحركات التي كانت تجاهد للحصول على السيادة في داخل الجماعة اليهوديّة. لكنّ فرص نجاحهم تقلّصت على مرّ الأيّام. فالمشيح الذي كانوا ينادون به ما زال غير عائد، وكانت الحركة التي ترفع شعاره أشدّ ازدهارًا عند غير اليهود. فكان من شأن كلّ ذلك أن لا يساعد على رسالتهم لدى اليهود. ولمّا كادت البدعة أن تصبح غير محتمَلة، على أثر انتصار الحركة الربّانيّة، عدّهم أغلبيّة اليهود هراطقة.

من المفيد جدًّا أن نشير، كما فعل الكاتب، إلى أنّ المسيحيّين المتهوّدين

قد طُردوا، بواسطة «بِرْكة حَمّينيم» (بَرَكة الهراطقة)، من المجامع التي يسيطر عليها الربّانيّون، ورثة الفرّيسيّين. وبعد أن نبذتهم الجماعة اليهوديّة وأصبحوا غير مرتاحين يومًا بعد يوم في «الكنيسة الكبرى»، كان عليهم أن يختاروا بين ثلاثة: إمّا أن يعودوا إلى المجمع اليهوديّ، بالتخلّي عن إيمانهم بيسوع المسيح، وإمّا أن ينضمّوا إلى «الكنيسة الكبرى»، بالكفّ عن حفظ الشريعة الموسويّة، وإمّا أن يؤلّفوا جماعات منفصلة ومهمَّشة، لا تزال الشريعة محفوظة فيها. والذين اختاروا الحلّين الأوّلَين لم يتركوا أيّ أثر. أمّا الذين تبنّوا الحلّ الثالث، فإنّنا نعرفهم باسم الإيبونيّين أو الناذوريّين. ولمّا كانوا بقايا متحجّرة من الكنيسة في أوّل عهدها، فإنّ «المسيحيّين» هم أيضًا عَدُوهم مراطقة.

ولكنّهم لم يتواروا تمامًا من ساحة التاريخ. فإنّنا نراهم يعودون إلى الظهور لمناسبة نشأة الإسلام. فالكاتب يُكثر الاستشهاد بهانس - يواكيم شوبس (Schoeps) الذي لا يشكّ في أنّ الإسلام تلقّى ميراث المسيحيّين المتهوّدين. فقد كتب: «لا شكّ في ارتباط محمّد بالمسيحيّة المتهوّدة (...). فإذا صحّ أنّ المسيحيّة المتهوّدة غابت عن الكنيسة المسيحيّة، فإنّها، بالمقابل، حُفظت في الإسلام ووجدت مكانها في بعض دوافعه التوجيهيّة»[٣].

إنّ النظريّات اللاهوتيّة التي يستند إليها المسيحيّون المتهوّدون ما زالت غير واضحة لنا، إذ ليس لدينا من شهادات مباشرة سوى بعض مقتطفات من الأناجيل التي كانوا يستعملونها، إلى جانب الأدب الإقليمنضسيّ المنحول. ومن الراجح أنّ بعض مؤلّفات المسيحيّين المتهوّدين قد حُفظت بفضل اندماجها في بعض نصوص الإسلام. وقد تكون هذه حالة المصدر المسيحيّ المتهوّد الذي استعمله الكاتب المُسلم الذي وضع إنجيل برنابا، علمًا بأنّه لم يبقَ منه إلّا الترجمة الإيطاليّة التي تمّت في القرن السادس عشر[٤].

لا شكّ في أنّ صورة يعقوب ونفوذه قد تأثّرا إلى حدّ بعيد بتقلّبات المسيحيّة المتهوّدة. فبغض النظر عن الجماعات المسيحيّة المتهوّدة التي أعلت شأنه بوجه خاصّ، كان موضع إجلال في بعض الجماعات الغنوصيّة. وحتّى كنيسة أورشليم، التي كانت مؤلّفة من يهود وغير يهود، لم تكفّ عن إكرام يعقوب «أسقفها الأوّل». لكنّ «قادة الفكر في الكنيسة الكبرى»، على حدّ قول

---

(٣) Hans-Joachim SCHOEPS, *Theologie und Geschichte des Judenchristentums* Tübingen, 1949.

(٤) Luigi CIRILLO et Michel FRÉMEAUX, *Evangile de Barnabé*, Paris, Beauchesne, 1977.

بِرْنْهايْم، أخذوا يرون فيه «مصدر متاعب (. . .)، إذ إنّ «أخا الربّ»، الذي لم يكن أحد الاثني عشر، كان لا يندرج بسهولة في مخطّط الخلافة الرسوليّة، وينسجم بصعوبة مع أوّليّة بطرس. فكان من غير الممكن أن يُعجبَ كنيسة يتحدّر أكثر أعضائها من أصل وثنيّ ومنفصلة عن الشريعة».

ويضيف الكاتب في سياق الكلام: «من الواضح أنّ يعقوب كان يتّجه في عكس التاريخ. فقُصِر دوره على دور ممثّل صامت. وطوالَ قرون وقرون، عاش عيشة خاملة، أخذت تتبلّد على وجه بطيء».

ومع أنّ هذا الكتاب ما زال يحتوي على عدّة مناطق محفوفة بالظلّ، فإنّه يأتي بتوضيح جذّاب لشخصيّة يعقوب الغامضة. ذلك بأنّ بطرس أنطوان بِرْنْهايم يستخدم جميع المصادر التي في متناوله، كما أنّه ينصرف إلى «إعادة الاعتبار» بمهارة وسعة اطّلاع، فيولّد عند القارئ تحمّسه للموضوع والرغبة في المزيد من المعرفة.

يعقوب وبطرس وبولس والآخرون

يدور الكلام عن يعقوب أيضًا في كتاب إتيان تْرُكْمِه (Etienne Trocmé)، الذي يضع أكبر زعماء الكنيسة الناشئة، أي يعقوب وبطرس وبولس، في إطار أوسع. وهو أيضًا يدافع عن بطل يكاد أن لا يحتاجَ إلى أن يعاد إليه اعتباره، علمًا بأنّ نفوذه كان ولا يزال ساطعًا، بما أنّ المقصود هو بولس. إنّ تْرُكْمِه، وهو اختصاصيّ معترَف به في العهد الجديد، وقد درّسه طوال عقود في جامعة إسْتْراسبورغ (Strasbourg)، يقدّم لنا، في كتابه مهد المسيحيّة، ببساطة لبقة، ثمرة أبحاثه وتفكيره، وهو يعيد إلى الحياة تاريخ «تلك الشيعة اليهوديّة الخاملة الذكر التي نشأت في فلسطين وتحوّلت، بعد مئة سنة من الحياة، إلى ديانة جديدة تمتاز إلى حدّ بعيد عن الدين اليهوديّ، وانضمّت إليها أكثريّة من مؤمنين متحدّرين من أصل وثنيّ».

إنّ موضوع الكتاب واضح، وهو أنّ الهويّة المسيحيّة لم تتكوّن من تلقاء نفسها ولا في لمحة نظر، بل في أثناء سياق طويل قام فيه حوار التنازع مع الدين اليهوديّ بدور بارز. فبوجه تدريجيّ «وبعد بدايات متردّدة» شعرت الجماعات المسيحيّة بنوعيّتها وهويّتها».

لم يجد المسيحيّون أيّة فائدة في الانفصال عن الدين اليهوديّ، من شدّة شعورهم بأنّهم جزء لا يتجزّأ من الشعب اليهوديّ. وإذا تمّ الانفصال مع ذلك، فلأنّ تحوّلًا في العمق قد طرأ على الدين اليهوديّ بعد خراب هيكل أورشليم في

السنة ٧٠. فبعد أن حُرم شعائره الدينيّة ومَقْدِسَه، وأُنذر بالانفجار، لم يقدر على البقاء إلّا بفضل إصلاح جذريّ قامت به مدرسة ربّانيّين فريسيّين (انسحبوا إلى مدينة جَمْنيا) سيطرت أفكارهم على كلّ الشتات تقريبًا في نحو عشرين سنة. ومنذ السنة ٩٠، تمّ التوافق بين أكثريّة المجامع الساحقة على أن يُبعدوا من الجماعات اليهوديّة جميع الخارجين على تعليم المصلحين، ومنهم المسيحيّين. ولم يجد أولئك المسيحيّون المبعَدون اتّزانًا جديدًا إلّا بمشقّة.

ويُثبت الكاتب أنّ المسيحيّة لم تكتشف نفسها إلّا في نهاية القرن الأوّل. ولذلك، فهو يصف بـ «عهد المسيحيّة ثلاثة أرباع القرن التي تلت موت يسوع على الصليب». ويضيف: «لا شكّ في أنّ المسيحيّة نشأت مع الإيمان بقيامة المسيح. ولكن، كما أنّ الولد لا يكتشف أنّه شخص مستقلّ إلّا بعد أن يكون قد عاش اختبارات كثيرة، كذلك لم يتوصّل دين المسيح إلى وعي نفسه إلّا بعد العديد من الأحداث، ولم يكن أقلّها أهمّيّةً حرمانه من الدين اليهوديّ الذي عاناه انطلاقًا من السنة ٩٠. ذلك بأنّ المسيحيّين كانوا يعتبرون أنفسهم يهودًا أو مؤيّدين للدين اليهوديّ، وكانوا كثيرين حول المجامع. ولا نستطيع أن نتفهّم مغامرتهم الروحيّة وأدبهم في ذلك الزمن، إلّا أن أدركنا هذه المعطيات».

بقلم رشيق، يعرض تُرْكُمِيه فكره الصافي المهذّب، الناشئ عن إقبال طويل جدًّا على نصوص العهد الجديد، ويرسم، في ٢٨٠ صفحة من نصّ يكثر فيه البياض، لوحة بديعة من تاريخ المسيحيّين الأوّلين، لا يخشى فيها أن يُهمل الأفكار الدارجة والقضايا القائمة على الأكثريّة. فهو ينسب إلى إسّينيّي قمران تأثيرًا شديدًا في المسيحيّة الناشئة (مجموعات رتب، وستائر دينيّة، وصيغ مؤسِّسيّة، وقراءة الأسفار المقدّسة، والألقاب المسيحيّة المطلَقة على يسوع، وينسب إلى الهلينيّين دورًا حاسمًا ابتداءً من طردهم من أورشليم وهجرتهم إلى أنطاكية التي افتتحت الإرساليّة في خارج الدين اليهوديّ. لكنّه يخصّ بولس الرسول جزء الكتاب المركزيّ. إنّ الكاتب يكنّ إعجابًا واضحًا بذلك الموهوب الفذّ الذي ظهر عند نشأة الدين المسيحيّ، بهرطوقيّ المجمع، بالمنشقّ، بالعائش على هامش المجتمع، باللاّهوتيّ المنقطع النظير»[٥]. فالنزاع مع جناح المسيحيّة المتهوِّد، الذي تبلور في النزاع مع بطرس في أنطاكية، أدّى عند بولس إلى اتّخاذ موقف متشدِّد، إذ إنّه انقطع عن يعقوب وبطرس انقطاعًا عنيفًا وطوّر استراتيجيّة إرساليّة تقطع الروابط مع المجمع. ونحن نعرف أنّ هذه الاستراتيجيّة

(٥) Daniel MARGUERAT, *Le Monde de la Bible*, 1997, 105, 64-65.

لقيت نجاحًا في آسية الصغرى وفي اليونان.

السنوات ٦٠-٧٠

في مطلع الستّينات، كانت الكنيسة المسيحيّة مجموعة متواضعة الحجم ومنظَّمة تنظيمًا متينًا إلى حدٍّ ما حول أورشليم. وفي حضن يهوديّة زمنها، كانت تؤلّف أقليّة صغيرة متّقدة نشاطًا ولها تأثير حقيقيّ في الرأي العامّ اليهوديّ، وكان يعقوب رئيسها يتمتّع بجاه واسع جدًّا لدى الشعب نظرًا إلى تقواه المثاليّة. وكانت كنائس الشتات تعترف له بأوّليّة تعليميّة وتنظيميّة تامّة. وفي هذا الأمر، تلتقي نظريّات تُرْكيه وبِرْنهايم تمامًا.

وكان الهلّينيّون، الذين قطعوا الروابط مع أورشليم قبل ذلك بربع قرن، يعيشون على الشاطئ السوريّ الفينيقيّ، ولكنّهم فقدوا الكثير من اندفاعهم الأوّل. أمّا الكنائس التي أسّسها بولس، فإنّها كانت حائرة جدًّا بسبب سَجْن رسولها، ثمّ موته (حوالى ٦٢-٦٤). فكانت، هي أيضًا، خفيفة الوزن.

فوقعت سلسلة أحداث مأسويّة ما لبثت أن زعزعت البناء الذي كان من شأن موت بولس، الرفضيّ الأكبر، أن يدعّمه، على ما يبدو. وكانت أولى حلقة من السلسلة مقتل يعقوب في السنة ٦٢. فكانت الضربة عنيفة للكنيسة، لأنّها كانت تستمدّ قدرًا كبيرًا من جاهها من حضور شخصيّة قريبة من يسوع، ومشهورة بتقواها، على رأسها. وحاول أعضاؤها المحافظة على المؤسّسة فاختاروا، مكان يعقوب، سمعان بن قلوبا، خال يسوع، لكنّه لم يحظَ بسلطة سلفه. وبعد ذلك، يبدو أنّ أبناء يهوذا، وهو أخ آخَر من «إخوة» يسوع، مارسوا سلطة أسقفيّة جماعيّة.

لكنّ موت يعقوب، والتردُّد في خلافته، والتزعزع الذي سبّبته الحرب اليهوديّة وعواقبها، قضت على وضع كنيسة أورشليم المسيطِر. ومن جهة أخرى، استُشهد بطرس قبل نهاية الستّينات ولم يخلفه مَن يساويه في سعة النِّطاق. أمّا مسيحيّو رومة، فقد أهلك اضطهاد نيرون عددًا كبيرًا منهم.

ففي حوالى السنة ٧٠، خسرت الكنائس المسيحيّة أبطال الجيل الأوّل الثلاثة، يعقوب وبطرس وبولس. ومع ذلك، فإنّ التزعزع الذي عانته تلك المجموعة المسيحيّة الصغيرة لم يكن له وزن بالنسبة إلى التزعزع الذي كان الدين اليهوديّ يعانيه: فهناك خراب الهيكل، ونهاية العبادة الذبائحيّة، ووقوف الحجّ إلى الهيكل. لكنّ المبادرات التي اتّخذها ربّاني عجوز، يوحنّان بن زكّاي، أنقذت صيغة معيّنة من الدين اليهوديّ من الانحلال والتشتّت... فبعد

أن دمّرت الحرب اليهوديّة سائر أحزاب الدين اليهوديّ الفلسطينيّ (الصدّوقيّين والفيورين والأسّينيّين)، لم يبقَ من الدين اليهوديّ إلّا الصيغة الفرّيسيّة، وقد أُبعد عن المجامع أنصار يسوع المسيح. وعندئذ فقط، بدأت يقظة تدريجيّة لورثة بولس وانطلق نوع من الهجوم المعاكس عن يد المسيحيّين.

نهاية القرن الأوّل

في حوالى السنة ١٠٠، كادت الروابط التي تجمع بين الكنائس المسيحيّة والمجامع أن تنقطع في كلّ مكان. والسلطات الرومانيّة نفسها لم تعد تخلط بين المسيحيّين واليهود، بل كانت تضطهد المسيحيّين عن بصيرة.

وفي تلك الأيّام، أخذت مؤلّفات يوحنّا تظهر بمظهرها النهائيّ، وقد لخّصها تُرْكُمِه تلخيصًا انتقاديًّا بديعًا، فكتب: «إنّ الإبعاد عن المجامع، والتنافس مع تلاميذ المعمدان، والتقرُّب الذي أصبح محتَّمًا من الجماعات الناشئة عن عمل بولس، دفعت كلُّها إلى تحرير الإنجيل الرابع في حوالى السنوات ١٠٠-١١٠. فإنّ تلاميذ يوحنّا أرادوا أن يعبّروا عن حساسيّتهم وعن مسيحانيّتهم في عمل أدبيّ على جانب كبير من الأهمّيّة. هذا وإنّ كاتب الإنجيل الرابع (الذي كثيرًا ما يستعمل كلمة «يهود» للدلالة على خصوم يسوع ومحاوريه) هو، بالرغم من جذور فكره اليهوديّة، خارج عن يهوديّة زمنه، التي استعاد مُصلِحو جَمْنيا السيطرة عليها واعتبروها أكبر خصوم الدين المسيحيّ».

إنّ القرن الأوّل من تاريخ المسيحيّة تأثّر بعدّة مراحل حاسمة بقدر ما كانت غير منتظرة، وهي موت يسوع الباكر، وتراثيات القائم من الموت، وإقامة التلاميذ في أورشليم، والصِّدمات التي كان الهلّينيّون سببها، وانفصال بولس عن الكنيسة الكبرى، والعاصفة الرهيبة التي عرفتها السنوات، وإنعاش الدين اليهوديّ عن يد المدرسة الربّانيّة، وإبعاد «المينيم»[٦] عن المجامع في حوالى السنوات ٩٠-١٠٠، وافتتاح النقاش الكبير حول إدماج الدين المسيحيّ في حضن المجتمع اليونانيّ الرومانيّ. ففي حوالى السنة ١٠٠، عدل المسيحيّون عن الظهور بمظهر أشدّ اليهود أصالة. فلقد قاموا باختيارات عصيبة أليمة، ولكنّها كانت حاسمة للمستقبل. واتّخذت مسيحانيّتهم ولاهوتهم الكنسيّ صيغتهما النهائيّة. «فاقتربت سنّ البلوغ في المسيحيّة، بما فيها من مشاكل جليلة. وهذا ما يعني أنّ طفولتها قد انتهت».

---

(٦) كلمة تدلّ على شيع يهوديّة مختلفة (الصدّوقيّين والسامريّين والنافوريّين).

إنّ نصّ تركيبه هو عمل تلخيص جريءٌ باعتداله، يكاد أن يكون كلّه قائمًا على المصادر المقتبسة من العهد الجديد، وقد ربط بعضها ببعض بمهارة. وحاول أن يستعيد القطع الناقصة بدقّة وحكمة، ولكنّه لم يَخْشَ أن يشقّ سبلًا جديدة. أمّا بناؤه التاريخيّ فهو إعادة بناء يأخذ بعين الاعتبار تعدّد التيّارات وتنوّعها في نشأة المسيحيّة. ولكن يجوز لنا أن نأخذ عليه عدم توقّفه الكافي عند مختلف المسيحانيّات التي وُضعت في أثناء القرن المسيحيّ الأوّل، في حين يعرضها بِرّو ويحلّلها بوضوح كبير، في كتاب حديث[٧]. إلّا أنّ تلك النظرة الشاملة لم تكن تسمح له، على ما يبدو، بأن يطيل الكلام على التوسّعات اللاهوتيّة والمسيحانيّة، فإنّه يشدّد، قبل كلّ شيء، على أنّ المسيحيّة لم تصل إلى وضع الديانة المستقلّة إلّا في منتصف القرن الثاني، حين أنجز الآباء المدافعون عن الدين تحريرها من رَحِمِها اليهوديّة. ففي الواقع، لم تتلاشَ التنازعات التي عُرفت قبل خراب الهيكل دفعةً واحدة، حتّى وإن نسي التاريخ الخلافات التي قامت في وقت لاحق. وفي آخر الأمر، جَمَعَ التقليد الذي ظهر بعد الرسل بين بطرس وبولس مبديًا تجاه كلّ منهما الحماسة نفسها، وأدّى إلى وضع مسيحانيّة قانونيّة.

ولكن ماذا حلّ بشخصيّة يعقوب، التي دافع عنها بِرْنهايم وأشْهَرَها، وبأنصار التقليد المسيحيّ المتهوّد (أو بالأحرى بالتقاليد المسيحيّة المتهوّدة، لأنّه، على غرار اليهوديّة المحيطة، لم يكن من كتلة واحدة)، الذين لم يُرْدّوا عن «انحرافاتهم»؟ مئات من الأبحاث كُرّست للمسيحيّة المتهوّدة ولتقلّباتها المستقيمة أو المتشيّعة، نذكر منها بوجه خاصّ أبحاث جان دانييلو (Daniélou). إن كان القارئ على عجلة وكان مهتمًّا بأن يطّلع على ما آل إليه هذا المسار، فإنّه يستطيع أن يرجع إلى النُّبَذ عن «الناذوريّين والأبيونيّين» التي وردت في ملحق لكتاب بِرّو[٨] الذي سبق ذكره.

في النقطة التي يتمّ فيها الوصل بين التاريخ والتفسير الكتابيّ واللاهوت، لا شكّ أنّ «مهد» المسيحيّة سيبقى موضوع أبحاث لا يُحصى عددها.

---

(٧) Charles PERROT, *Jésus, Christ et Seigneur des Premiers Chrétiens, une christologie exégétique*. Collection «Jésus et Jésus-Christ», n°70, Paris, Desclée, 1997, 322 pages.

(٨) المرجع نفسه.

١ - بين المسيحيّة والإسلام. بحث في المفاهيم الأساسيّة

تأليف مشير باسيل عون

المجلّد الرابع من سلسلة «المسيحيّة والإسلام في الحوار والتعاون»

(مركز الأبحاث في الحوار المسيحيّ الإسلاميّ CERDIC)،

المكتبة البوليسيّة، جونية، لبنان، ١٩٩٧، ١٢٥ صفحة

٢ - الإصغاء إلى كلام الله في المسيحيّة والإسلام

تأليف أندراوس بشّي وعادل تيودور خوري

بالاشتراك مع محمود زقزوق، يُورهن روولوف، جيرت غرمهاك،

محمّد طالبي، محمود أيّوب، يوسف سوديراك

إعداد مشير باسيل عون

المجلّد الخامس من السلسلة نفسها، ١٩٩٧، ٢٦٨ صفحة

٣ - مقالات لاهوتيّة في سبيل الحوار

تأليف مشير باسيل عون

قدّم لها كيرلّس سليم بسترس وعقّب عليها عادل تيودور خوري

المجلّد السابع من السلسلة نفسها، ١٩٩٧، ٢٢١ صفحة

في إطار العمل لتعزيز الحوار الفكريّ وإظهار مواضع التقارب بين المسيحيّة والإسلام، يُصدر «مركز الأبحاث في الحوار المسيحيّ الإسلاميّ» سلسلةً من الكتب تركّز على ما هو «مُشترَك في مبتغى الوجود الإنسانيّ المطلَق»، وتحاول أن تدفع إلى الأمام الحوار المسيحيّ الإسلاميّ في جميع أبعاده اللاهوتيّة والفكريّة والوطنيّة. وآخر إصدارات المركز ثلاثة كتب تسعى للإجابة عن تساؤلات كثيرة في مجال الحوار بين المسيحيّة والإسلام، وتُعجِب من جهة ثانية بمنهجيّتها وعرضها واخراجها.

الكتاب الأوّل مقارنةٌ بين جوهر الإيمان المسيحيّ وجوهر الإيمان الإسلاميّ، وفيها كشفٌ لمعالم تَوافُق المسيحيّين والمسلمين البيّنة وفرادة عقيدتهم اللاهوتيّة واختبارهم الروحيّ. في القسم الأوّل من الكتاب - وهو الأطول - دراسة لستّة مفاهيم هي: المبادرة الإلهيّة، جواب الإنسان، بناء العقيدة، تصوُّر الله، هويّة الإنتظار، وسمات الدنيا. في المبادرة الإلهيّة يقول المؤلّف إنّ المسيحيّة والإسلام يُقرّان بأولويّة الله المطلَقة في ملاقاة الإنسان، غير أنّهما يفترقان في استجلاء مضمون الوحي ومحتواه. كذلك تتّفق المسيحيّة والإسلام على اعتبار موقف الإنسان موقف انفتاح على الله، ولكنّهما يختلفان على تحديد موقع هذا الموقف من مضمون العقيدة، من حيث مفهوم الشراكة بين الله والإنسان، وإدراك فعل الإيمان، وتأويل مدوَّنات الوحي. أمّا طبيعة البناء العقيديّ ووظيفة المعرفة والتفسير، فالمسيحيّة والإسلام يتباينان في تحديدهما، كذلك تختلف كلتا الديانتين في رؤية الله وتصوُّر هويّته وترسُّم كيفيّة تدخُّله في التاريخ واختيار تساميه أو مداناته. ونتيجةً

لهذا الاختلاف تبرز اختلافات في تصوُّر هويَّة الإنسان وعلاقاته بالله وبنظيره الإنسان، وهي اختلافات يعسر التقريب بينها «حين تنفرد المسيحيَّة في تتويج الخلق والخلاص بنعمة التألُّه».

القسم الثاني يتحدَّث عن تفاعل المسيحيَّة والإسلام مع الحداثة، فيرى المؤلِّف أنَّ كلًّا من الديانتين يصوِّب ثلاثة عناصر سلبيَّة منبثقة من جوهر الحداثة وهي: محوريَّة الذات الفرديَّة والجماعيَّة والتاريخيَّة، اعتناق النسبيَّة المطلقة في اعتبار الحقائق والعمل على تشييء الإنسان والكون، والإغراق في الوثوق بالصوابيَّة المطلقة للمقولة العلميَّة وبالفعَّاليَّة القاهرة للأثر التقني. وفي المقابل، يتبيَّن أنَّ جوهر الحداثة الإيجابيَّ يصوِّب ثلاث ممارسات تاريخيَّة خاطئة في المسيحيَّة والإسلام، وهي: محاولة عزل الفكر الدينيّ عن مواكبة تطوُّر الأوضاع البشريَّة، التسلُّط الفوقيّ واستصدار الأحكام الإلٰهيَّة بوجه قاطع ونهائيّ وإلزاميّ، واعتناق وحدانيَّة الحقيقة تبريرًا لإلغاء كلّ ما هو تعدُّد في إمكانات تجلِّيها. وفي الختام يقترح المؤلِّف على مسيحيِّي لبنان ومسلميه «إنجاز تلاقح بين الديانتين والحداثة في سبيل إنشاء مجتمع مدنيّ ينعم بإيجابيَّات أنظومة الحداثة وأنظومة الدين» و«الإسهام الفعليّ في معالجة المشاكل الكبرى التي تتاب لبنان».

يظهر جليًّا في هذا الكتاب أنَّ المؤلِّف أقدم فعلًا على المقارنة بين المسيحيَّة والإسلام بجدِّيَّة ونزاهة، وعالج موضوعه باحترام مؤمني الديانتين «بلا تهجُّم ولا تحامل ولا هضم حقوق» في السعي «لحوار منفتح وشجاع».

الكتاب الثاني أعمالُ الدورة الأخيرة للقاء بين المسلمين والمسيحيِّين في معهد القدِّيس جبرائيل، وقد تناولت الإنسان مصغيًا إلى كلام الله، وهو موضوع «يكشف الاتِّفاق العميق بين المسيحيَّة والإسلام وفي الوقت نفسه الفرق بين التراثين الدينيَّين».

في الافتتاح تحدَّث كلٌّ من رئيس جامعة تيبنغن البروفسور كارل فرنهارت، وعميد كلِّيَّة اللاهوت الكاثوليكيّ في جامعة مونستر (ألمانيا) البروفسور عادل تيودور خوري، والمسؤول في مجمع أساقفة النمسا عن حقل «الكنيسة العالميَّة. العدالة والسلام» الأسقف فلوريان كرنتنر، والوزير الدكتور إرهارد بوزك.

المحاضرة الأولى تطرَّق فيها عادل تيودور خوري إلى «المسؤوليَّة المشتركة والتعايش الأخويّ بين المسيحيِّين والمسلمين في عالم تنمو أقسامه حتَّى يُضحي للبشريَّة جمعاء مجالَ العيش الوحيد غير القابل للتجزئة».

المحاضرة الثانية عالج فيها محمود حمدي زقزوق موضوع الإنسان في القرآن الكريم بوصفه مستمعًا إلى كلام الله، وأشار إلى أنَّ القرآن يريد أن يحثَّ الناس على ألَّا ينسوا ما أرادت كلمات الله أن تذكِّرهم به، وإلى أنَّ اتِّخاذ السبيل إلى الله فيه تحقيق لوجود الإنسان وإثبات لذاته.

المحاضرة الثالثة توقَّف فيها بورغن وولوف على الإصغاء إلى كلمة الله في بشارة يسوع، والكلمة القرية كقدرة تنشئ الحياة بحسب العهد الجديد وخصوصًا عند بولس ويوحنَّا.

المحاضرة الرابعة حلّل فيها جسبرت غرسهاك ظاهرة الكلام وخصائص كلام الله المؤلّه.

المحاضرة الخامسة درس فيها محمّد طالبي موضوع الإصغاء إلى كلام الله الذي يتوجّه إلى الإنسان ويناشد عقله، وتأثير القرآن الكريم في الأمّة الإسلاميّة منذ نشأتها.

وقبل المحاضرتَين الأخيرتَين ساعة صلاة ووقوف أمام الله حضرها المشاركون في اللقاء وتضمّنت تلاوة وتفسيرًا من القرآن الكريم والكتاب المقدّس وصلوات حمد وتسبيح.

المحاضرتان السادسة والسابعة تناولتا البُعد الصوفيّ الذي يضجّر من حياة الإصغاء إلى كلام الله في تاريخ الإيمان الإسلاميّ والمسيحيّ وترك الأثر المحتّم في حياة الجماعة الدينيّة (محمود أيّوب ويوسف سودبراك).

الكتاب التوثيقيّ هذا يندرج في سياق الجهود التي يبذلها علماء مسلمون ومسيحيّون في سبيل خلق جوّ ملائم للحوار، وإقامة علاقة مؤسّسة على محتويات إيمانهم وقواعد أخلاقيّاتهم المشتركة بينهم، تقرّب القلوب وتوسّع المجال للقيام بالتعاون في مجالات «العمل الاجتماعيّ» كافّة.

الكتاب الثالث سلسلةُ مقالات لاهوتيّة وضعها المؤلّف بين العام ١٩٨٨ والعام ١٩٩٧ وغرضها «التأمّل في واقع الفكر اللاهوتيّ المسيحيّ في لبنان» لاستعراض المعضلات واقتراح مبادئ المعالجة بنيةَ الانتقال «من تناسل الذات الانطوائيّ إلى خصوبة التخاطب والحوار». أمّا عناوين المقالات فهي على التوالي: «مأزق اللاهوت في لبنان بين أزمة الواقع ورزية الإيمان. في سبيل خطاب لاهوتيّ شرقيّ عربيّ لبنانيّ معاصر»، «ما لقيصر لقيصر وما لله لله: المسيحيّة في لبنان بين الدين والدنيا»، «الديانة المسيحيّة: هويّة الإيمان المسيحيّ وخصوصيّته»، «الفكر اللاهوتيّ بين العلم والتمجيد»، «يسوع المسيح، اعتلان الله الآب وخلاصُ الإنسان، إنسان الحوار المسيحيّ الإسلاميّ اللاهوتيّ ومعضلته الرئيسة»، «المجمع الكاثوليكيّ من أجل لبنان: خواطر في واقع مرتجاه»، «تعدّد فانفصال أم انفتاح فاغتناء؟ اليوبيل اللبنانيّ ومسألة الوحدة الثقافيّة اللبنانيّة»، «الطائفيّة اللبنانيّة تحت مجهر النقد المسيحيّ»، «نحو علمنةٍ محض لبنانيّة. خواطر في الدين والسياسة في لبنان»، «صعوبات الحوار المسيحيّ الإسلاميّ في لبنان»، «من الفكر إلى الواقع. صعوبات التطبيق».

نشير أخيرًا إلى أنّ الحوار الفكريّ بين المسيحيّين والمسلمين يبقى من أرقى الحوارات وأغناها، غير «أنّ الحوار الفكريّ، على ضرورته وأهمّيّته، - كما يقول المطران كيرلّس بسترس - ليس هو كلّ الحوار؛ إنّما هو تمهيد لما هو أهمّ منه، أعني حوار الحياة وحوار التعاون على البرّ».

أنطوان الغزال

الإسلام في عقيدته ونظامه

تأليف عادل تيودور خوري

عرّبه عن الألمانيّة علم إلياس علم

المجلّد السادس من سلسلة «المسيحيّة والإسلام في الحوار والتعاون»

(مركز الأبحاث في الحوار المسيحيّ الإسلاميّ CEDRIC)،

المكتبة البولسيّة، جونيه، لبنان، ١٩٩٧، ٢٧٠ صفحة

لا شكّ في أنّ الأب عادل تيودور خوري هو، من بين العلماء المسيحيّين، مَن إذا كتب في الإسلام كان خيرَ مَن يُصيب. فهو مكبّ، منذ نحو ربع قرن، على درس الإسلام وتدريسه، وله فيه وفي الحوار والتعاون بينه وبين المسيحيّة عدّة مؤلّفات نذكر منها: اللاهوتيّون البيزنطيّون والإسلام في ٣ مجلّدات، السماحة في الإسلام، الأقلّيّات الإسلاميّة في الخارج، هكذا تكلّم النبيّ: مقتطفات من الحديث، ماذا يجري في العالم الإسلاميّ؟، الإسلام يقترب منّا، كما له ترجمة للقرآن الكريم إلى الألمانيّة وتفسير مطوّل له صدر منه إلى اليوم ثمانية مجلّدات. وكتابه الأخير الإسلام في عقيدته ونظامه هو تتويج عمله الدؤوب المثمر، ونرجو أن يتبعه دراسات أُخرى تكون جميعها لَبِنًا تُعلي صرح الحوار البنّاء بين الديانتَين السرّحدتَين العظيمتَين.

الحوار هو هدف كتاب الأب عادل خوري، ولا بدّ لإقامة الحوار الواعي المفيد من أن يعرف كلٌّ من الفريقَين المتحاورَين دين مَن يخاطبه وقيمَه الأخلاقيّة ونظمه الاجتماعيّة. لذا قدّم الأب خوري في مؤلّفه الموجَّه إلى المسيحيّين كلَّ ما يُنبغي أن يعرفوه عن الإسلام معرفةً صادقة بعيدة عن الجدل أو المنازعات. في الفصل الأوّل تعريفٌ الإسلام دينًا عالميًّا: مراحل انتشاره ووضع المسلمين في عالم اليوم. في الفصل الثاني دراسة نهضة الإسلام الحاليّة في أبعادها الدينيّة والسياسيّة. ثمّ تُدرَس في الفصول اللاحقة الموضوعات التالية: أصول الإسلام، النُظُم التشريعيّة فيه، علم الكلام والفِرق في الإسلام، الأنبياء، الله، شؤون الآخرة، أركان الإسلام الخمسة، الأعياد الإسلاميّة، الأخلاق والقواعد السلوكيّة والتصرّف، الزواج والأسرة، الأمّة الإسلاميّة، الدولة الإسلاميّة، مبادئ النظام الاقتصاديّ الإسلاميّ، الإسلام وغير المسلمين، الأقلّيّات المسلمة، المسيحيّون والمسلمون في علاقاتهم وسبل الحوار العمليّ بينهم، وفي الختام مراجع للتعمّق في البحث بعضها بالعربيّة ومعظمها بالألمانيّة.

الكتاب، كما تبيَّن من موضوعاته، شامل مكتمل، واضح السرد، سلس الأسلوب بفضل همّة المعرّب، وهو يسدّ فراغًا طالما شكاه المسيحيّون العرب. ويا ليتَ المؤلّف الملّامة أورد، إلى جانب المراجع الألمانيّة، المراجعَ الفرنسيّة والإنكليزيّة والإيطاليّة والإسبانيّة المفيدة لمَن يبتغي المزيد.

أ. ك. حشيمه

تراث وحداثة

قراءة للفكر العربيّ الحاليّ

تأليف بولس الخوري

سلسلة «المسيحيّة والإسلام في الحوار والتعاون»، الرقم ٩،

المكتبة البولسيّة، جونيه (لبنان)، ١٩٩٧، ٢٢٤ صفحة

ما زال الأب بولس الخوري، منذ نيّف وثلاثين سنة، يؤلّف بالفرنسيّة والعربيّة الكثير من الدراسات المعمّقة المستفيضة في الشؤون الفلسفيّة واللاهوتيّة، مركّزًا في الآونة الأخيرة على القضايا المتعلّقة بتلاقي الثقافات، وكيفيّة مواجهة العالم العربيّ ظاهرة الحداثة. وكتابه الأخير قراءة للفكر العربيّ الحاليّ هو عصارة خبرته الواسعة ومطالعاته وتدريسه في هذا المجال.

ينطلق بولس الخوري في محاولته من اقتناعه بأنّ محور الفكر العربيّ الحاليّ هو، كما يشير إليه عنوان الكتاب، التحوّل الثقافيّ والتوفيق بين التراث والحداثة. في مبحث أوّل، هو الأوسع، يدرس إشكاليّة التحوّل الثقافيّ، وفي مبحث ثانٍ يصوّر اتّجاهات الفكر العربيّ الحاليّ. وبدقّةٍ ملاحظةٍ لافتة يصف ما يتجاذب العالم العربيّ من نزعات إلى الوحدة والاختلاف على جميع الصعد، الإثنيّ منها والدينيّ والثقافيّ والسياسيّ والاقتصاديّ، إن في داخله أو بتأثير من الضغوطات الخارجيّة عليه. وإذ ينظر إلى توق المفكّرين في بلادنا إلى تحقيق وحدة الشخصيّة العربيّة من خلال الوحدة الشاملة، يطرح السؤال: هل هذه الوحدة التي تتعثّر في مسيرتها هي أسطورة أم حقيقة؟ ويجيب: حتّى لو كان هناك شيء من الأسطورة، فلا بأس، «لأنّه غالبًا ما تكون الأسطورة جوهر الواقع الإنسانيّ، ولأنّ المجتمعات الإنسانيّة تعيش وتتغذّى من الأساطير أكثر ممّا يزعمون» (ص ٣١). إلّا أنّ هذا التوق إلى الهدف البعيد مدعوّ، بحسب ما يلحظه خوري، إلى التحوّل ومراعاة متطلّبات العالم المعاصر، والانتقال من الذهنيّة العربيّة القديمة المتعلّقة بالقديم والتراث، والقضاء والقدر، والثبات والخضوع، إلى الذهنيّة العقلانيّة التي تتجلّى مثلًا بالتمييز بين الدين والقوميّة، والإسلام والعروبة، والمسيحيّة والغرب.

ومن ملاحظة تلك الظاهرة، ينتقل المؤلّف إلى درْس المواقف المختلفة التي يقفها المفكّرون العرب من قضيّة التحوّل الثقافيّ والتوفيق بين التراث والحداثة. فيصف الموقف التقليديّ الذي يتمسّك بالتقليد من دون غيره ويرفض الحداثة جملةً وتفصيلًا؛ ثمّ الموقف العصريّ الذي يتوجّه إلى المستقبل فيتخلّى عن العرضيّ ليتمسّك بالجوهريّ؛ ثمّ الموقف الإصلاحيّ الذي يتبوّأ المكان الوسط فيرفض أن يختار بين التراث والحداثة، بل يسعى للتوفيق بين الأطراف المتعارضة ويتكيّف مع ما يفرضه الوضع الراهن، ولا يرى تعارضًا بين الماضي والحاضر، والتراث والتطوّر، والدين والعلمنة. ويقدّم المؤلّف في قسم أخير من كتابه، عرضًا لمواقف نموذجيّة تمثّل التيّارات الثلاثة تلك، محلّلًا فكر نحو ثلاثين مثقّفًا عربيًّا بارزًا.

لا شكّ في أنّ قراءة بولس الخوري في الفكر العربيّ الحاليّ جاءت، كما قلنا، دقيقة الملاحظة والتحليل، شاملةً معمّقة واضحة، إلّا أنّ أسلوب العرض لم يخلُ من بعض التكرار نتيجة تصميم الكتاب، وقد ظهر ذلك إذ طُرحت بعض القضايا في المبحث الأوّل في أثناء عرض الإشكاليّة، وأعيدت معالجتها ببعض الإسهاب في المبحث الثاني عند وصف الاتّجاهات الحاليّة. ولعلّ في تلك الإعادة إفادة!

ولنا أيضًا ملاحظة حول تعريب بعض الألفاظ الفلسفيّة. فقد نقل المؤلّف كلمة sacralité بعبارة «قداسة» التي يعرف العامّة أنّها تعني مفهوم الـ sainteté، وإنّنا لنقترح أن يستعاض عن القداسة بعبارة «القداسيّة». وعُرّبت كلمة sémiticité بكلمة «ساميّة» التي تعني مبدئيًّا صفة المرأة المنتمية إلى العنصر الساميّ sémite أو ما يتعلّق بالشؤون الساميّة sémitisme؛ أمّا sémiticité فنرى أنّ خير ما يؤدّيها بالعربيّة هو «الساميّيّة». وعُرّبت كلمة fidéisme بكلمتين: «الموقف الإيمانيّ»، ونقترح استعمال عبارة «الإيمانيّة»...

ختامًا، نلفت النظر إلى ثبت المراجع الضافي الذي أدرجه المؤلّف في ختام بحثه، وهو في غاية الأهمّيّة، لا سيّما أنّ قسمًا من تلك المراجع أُدرجت في ختام المبحث الأوّل مرتّبةً بحسب الموضوعات المطروحة في ذلك الباب.

أ. كميل حشيمه

الآراء الاجتماعيّة والسياسيّة لأمين الريحانيّ

تأليف الدكتور محمّد مصطفى ميرو

دار الوفاء للطباعة، حلب، ١٩٩٦، ١٥٨ صفحة

تبدأ مطالعةَ هذا الكتاب – الأطروحة نيلَك إليه ويصعب عليك تركه إلّا بعد بلوغك الصفحة الأخيرة. ذلك بأنّ فلسفة الريحانيّ الاجتماعيّة والسياسيّة باتت مرجعًا أساسًا يستلهمه كلّ مهتمّ بإذكاء الوعي القوميّ وتجديده، وخير شاهد على هذه الظاهرة كثرة الدراسات والأطاريح الجامعيّة التي عُنيت بـ «فيلسوف الفريكة» وما زالت. إلى ذلك، فلئن قال الدكتور ميرو في أطروحته، ويتواضع بشرّنه، إنّ محاولته هذه «لم تكن سوى قراءة جديدة تضاف إلى جملة الدراسات (...) التي تناولت فكر الريحانيّ» (ص ١٤٤)، إلّا أنّ قراءته تلك جاءت موفّقة إلى أبعد الحدود ومن نواحٍ متعدّدة.

أوّل ما يلفتك وضوحُ التصميم، ثمّ تدرّج التحاليل، فالنزعة العلميّة الهادئة في استنتاج الفِكَر، فالسلاسة في العرض. وفي النهاية ترتسم أمام عينيك صورة للريحانيّ واضحة المعالم مشرقة، صورة مفكّر رائد خدم قضايا بلاده والوطن العربيّ بإخلاص وبُعد نظر. ويسرّنا أن نطلق هذا القول خاصّة بعد ما عرفنا من سابق علاقات المشرق بالريحانيّ، إذ وجّه المرحوم الأب لويس شيخو سهامه مرارًا إلى الريحانيّات، ولكن من منطلق دينيّ بحت (راجع مقالتنا في هذا العدد من المجلّة). أمّا إن نظرنا إلى الريحانيّ من ناحية أفكاره القوميّة، فلا يسعنا إلّا أن نثمّن ما أتى به سبّاقًا مخلصًا. وللدكتور ميرو، في تبيان دور

الريحانيّ هذا، فضلٌ مشكور.

ومن الأمور التي أظهرها المؤلّف في كتابه من هذا القبيل أنّ الريحانيّ خدم القضيّة العربيّة أجلّ خدمة، لما جمعه في شخصه من مقوّمات ثقافيّة وحضاريّة مختلفة متكاملة. فقد «نبتت روحه وأفكاره في لبنان، ونمت في الولايات المتّحدة الأميركيّة، لكنّها كانت دائمًا في لبنان الوطن الصغير وفي البلدان والأقطار الأخرى التي تشكّل قوام الوطن الأكبر (الوطن العربيّ) الذي كان يحلم أن يراه موحّدًا حرًّا متسامحًا... له مكانته بين الأمم القويّة» (ص ٦١).

كما أنّ الريحانيّ كان طليعيًّا في دعوته إلى اشتراكيّة منفتحة «وَسَط بين بلشفيّة روسيا الماركسيّة واشتراكيّة أمريكا الديمقراطيّة»، و«في هذه العبارة المكثّفة جوهر مذهبه القائم على اشتراكيّة ذات (طبيعة روحانيّة أخلاقيّة) إنسانيّة، وعلى اشتراكيّة إصلاحيّة، تعتمد على التربية والتعليم والتنوير، ومواكبة قوانين التطوّر الطبيعيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة، دون القفز فوقها أو تجاهلها، أو الانقلاب على سنن الكون والحياة الاعتياديّة» (ص ٩٧).

وقد أجاد الدكتور ميرو أيضًا في وصف عبقريّة الريحانيّ من جهة نزعته القوميّة. فقد كانت ثوريّة، أي تقدّميّة تطمح إلى أن تكون حضاريّةً فعّالة تسهم في صنع الحضارة العالميّة (ص ١٠٧)، كما كانت علمانيّة تروم إحلال مجتمع مدنيّ يشعر الناس فيه بالمساواة في الحقوق والواجبات بدون سيطرة مذهب على آخر (ص ١٠٧)، وبذلك كان الريحانيّ «من دعاة الدولة القوميّة العربيّة الواحدة العصريّة، التي تقوم ليس على أساس دينيّ، وإنّما على مبدأ الرابطة القوميّة. وهو بذلك أقرب ما يكون إلى أفكار قسطنطين زريق وساطع الحصري وزكيّ الأرسوزيّ» (ص ١٤٨).

وما أجملَ ما كتبه المؤلّف إذ أوجز موقف الريحانيّ من الوحدة العربيّة بقوله إنّ السبيل الأمثل إلى تحقيقها هو التضامن، «والتضامن العربيّ يبدأ معنويًّا، خُلُقيًّا، ثمّ يتدرّج إلى تضامن اقتصاديّ، فسياسيّ، فعسكريّ، وعندها يمكن القوّة العربيّة أن تقارع النفوذ الأجنبيّ الذي يحول دون وحدة الأمّة العربيّة» (ص ١١٦). هذا لعمري كلام لا من فضّة، بل من ذهب خالص! فلو سار العرب على هذا الدرب لوصلوا. أجل، فالتضامن يبدأ معنويًّا، خلقيًّا، وقد خدم الريحانيّ القضيّة العربيّة بكتاباته أكثر ممّا كان خدمها... بدبّاباته... لو توفّرت له.

وما دمنا في معرض الكلام على خدمة قضايا الوطن العربيّ، نقترح، من باب الدالّة العلميّة وحرصنا الشديد على نصاعة لغتنا القوميّة، أن يبدّل المؤلّف الكريم، في طبعة كتابه المقبلة، صيغةَ العنوان. فطريقة قوله «الآراء الاجتماعيّة والسياسيّة لأمين الريحانيّ» هي صيغة دخيلة راحت تتسلّل إلى أقلام كتّابنا، فرّحنا بدورنا نتاصبها العداء (راجع مقالَيْنا: «تشويه الفصحى بالعبارات الأجنبيّة والعاميّة»، المشرق، ١٩٩٦، ص ٧-٢٤، خاصّة ٢٠-٢٣؛ و١٩٩٧، ص ١٨٣-١٩٤، خاصّةً ١٨٧). والأصحّ أن يقال: «آراء أمين الريحانيّ الاجتماعيّة والسياسيّة»، أو «أمين الريحانيّ وآراؤه الاجتماعيّة والسياسيّة»، أو

«الآراء الاجتماعيّة والسياسيّة عند أمين الريحانيّ» وهي صيغة وردت في أولى صفحات الكتاب خلافًا لما ورد على الغلاف! وإن نحن توقّفنا على هذه الناحية الشكليّة، الثانويّة إلى حدّ ما، فلأنّها باتت تتفشّى بين أدبائنا. وثمّة، ويا للأسف، بعض عناوين كُتُب حديثة، إن هي إلّا نماذج معدودة: «علماء القرن الثالث للهجرة» بقلم د. يوسف فرحات، جنيف، بدون تاريخ، وكان الأولى أن يقال: «علماء القرن الثالث الهجريّ»؛ «التكوين التاريخيّ للأمّة العربيّة» بقلم د. عبد العزيز الدوريّ، بيروت، ١٩٨٤، وكانَ الأجدر أن يقال: «تكوين الأمّة العربيّة التاريخيّ» أو «الأمّة العربيّة وتكوينها التاريخيّ»؛ «العيد الذهبيّ للجلاء» بقلم كوليت الخوري، دمشق، ١٩٩٧، ويا ليت الأديبة الكريمة كتبت: «الجلاء في عيده الذهبيّ»، إذن لتحاشت الغلط وأبرزت الجلاء في محلّ الصدارة؛ «المحصول الفكريّ للمتنبّي» من تأليف سهيل عثمان ومنير كنعان، ولو عاد الشاعر الكبير لاقترح العنوان التالي: «المتنبّي ومحصوله الفكريّ».

وفي الختام نكرّر تقديرنا عمل الدكتور مبرر أيّما تقدير، شاكرين له تسليط الأضواء على شخصيّة أمين الريحانيّ، ذاك المفكّر الخطير والوطنيّ الكبير.

أ. كميل حشيمه

جعيتا؛ التراب الآخر؛ زمن البراكين؛ أسير الفراغ

- رباعيّة -

تأليف خليل رامز سركيس

دار الجديد، بيروت، ١٩٩٧، ٨١٢ صفحة

أجمل ما تُنعَت به هذه الرباعيّة أنّها تأمّلات فلسفيّة، تأمّلات صديق الحكمة في مختلف الموضوعات الوجدانيّة. ومَن قال إنّ الوجدان بعيد عن الأرض وبأسها، عن الأرض وخِصْبها، عن الأرض في مآسيها وأفراحها؟ الفيلسوف يحاور نفسه بنفسه، يجعل ذاته تتكلّم وتتنقل في مغارة جعيتا من سرّ إلى آخر، فيغوص على طبقات الكائن من دون أن يستطيع الدخول في كلّ مكان.

جعيتا هي مغارة الإيمان الجديد: «كم زعموا أنّ جعيتا ليس بها شيء من الإيمان الجديد، مع أنّنا حقًّا في صميم هذا الإيمان! ولقد بتنا نخشى ألّا ندري كيف نضطلع بمهمّات جعيتا وكيف نرى أنّ الإيمان، من خلال جعيتا، إنّما يتجلّى في هدي الكون» (ص ١١٦). إلّا أنّ هذا الإيمان لا يكشف عن تفسير كلمة حياة إلّا في نحت دخيلة الذات. ويبقى أنّ هذا الإيمان هو في أزمة كما العقل: «العقل والإيمان كلاهما في أزمة. بيد أنّ حقلنا يحلّل الماء وإيماننا يتحلّل بها» (ص ١١٩). والعقل والإيمان في أزمة إذ إنّهما لم يستطيعا بعد إدراك الإله، بالرغم من ذلك العطش القويّ إلى علّة الكون لا إلى سرّ الألوهة. السرّ هو أن يُبقي الإنسان عقله وإيمانه في عطش دائم. وإذا ما أراد الإنسان أن يُبقي عقله وإيمانه في يقظة، لا بدّ له أن يبقى في جعيتا: «جعيتا مغارة لمثيرات إعجاز، فحقّ علينا أن

نبدع فنختار. عالمنا ههنا، عالمٌ بكر، وطن أحداث متأجّجة المياه» (ص ١٢٢). الإله في جعيتا لا يخذّر، بل إنّه يوقظ ويحرّك.

ومن مسيرة الإيمان اليقظة، ننتقل من جعيتا إلى التراب الآخر، وهو كتاب يعتبره المؤلّف خلاصة لتجربة روحيّة وماديّة عاناها مؤلّفه، في ما لها وفي ما عليها. فرأى أن يفصح، في كلا الأمرين، عن تعدّد مواقفه حيالها حلّها تفضي به يومًا إلى المبتغى المنشود (تصدير كتاب التراب الآخر). جعيتا، الرامزة إلى كهف أفلاطون، هي النقيض لذلك الكهف، حيث إنّ السلك هو غرض على الذات في حين أنّ كهف أفلاطون يدعوك للخروج إلى النور. التراب الآخر هو تقدّم الفكر في قضايا مختلفة مثل وضع الحقيقة والحرّيّة والحبّ وروح الشرّ. وفيه أيضًا عودة إلى دور العقل، حيث إنّ «لا زمن إلّا في العقل. حيث لا عقل لا زمن. هكذا يجد العقل نفسه بين براثن الأزمة، لكنّه لا يعترف لغيره بحقّ الزمن. الواقع أنّ هذا الحقّ معرّض لأخطار العدوان. فلطالما اعتُدي على الزمن، زمن الشعراء والفلاسفة، وزمن العلماء والحسابيّين وغيرهم من ملعني الوجود، حتّى لقد شككنا في قدرة الزمن على الثبات» (التراب الآخر، ص ١٤٧). وفي نهايات الكتاب حديث عن موقع الثقافة، «من الثقافة القوميّة إلى الثقافة الإنسانيّة الشموليّة، حيث إنّ الإنسان هو بين يدي حضارة كونيّة تحقّق الكثير من الرؤى والأحلام» (ص ٢٢٠).

ومن التراب الآخر ننتقل إلى الكتاب الثالث زمن البراكين: «القبح آفة العالم الحديث، على ما في عالمنا هذا من معجزات أعمال. ولكنّ العالم بقي عشرات السنين لا يعي حلّ أبعاد هذه الآفة التي هندست حياتنا العصريّة فجعلتها على شكلٍ رهيب أمسى يقتضيه التقدّم التقنيّ (..). فكأنّ القبح بات أمرًا مقصودًا مرغوبًا فيه» (زمن البراكين، ص ١٥). وهذه الحالة تولّد المعاناة، إذ إنّ الإنسان «هو على قمّة بعض البراكين، أو إذ هو أشبه بالبركان أو، على الأقلّ، إذ هو أشبه بمادّة بركانيّة حيّة» (ص ٦١). وهذا الإنسان البركان مدعوّ إلى أن يحتمل البراكين، وذلك «عمل كبير ينبغي له كثير من عمق الرؤية وغنى الخيال، إلى كثير من مزايا الجرأة والرحابة والشمول. البراكين بؤر ثوريّات انقلابيّة الطموح في جدليّات تبني إذ تهدم» (ص ٢٣١). في هذا السياق يحدّد الفيلسوف الطريق الذي سيسلكها الإنسان للتغلّب على الآفة.

وختام الرباعيّة هو كتاب أسير الفراغ، هوائيّة لحظات، يتحدّث عن «الفراغ أو عن الهواء، خاتمة العناصر من رباعيّة الترافق والتخالف بعد الماء في جعيتا والأرض في التراب الآخر والنار في زمن البراكين. في أسير الفراغ يربط المفكّر الهواء بسيرة الإنسان بل بسيرة شعبٍ كان أحجز من أن يسلك حرًّا فبات أسير الفراغ» (ص ٩). والفراغ هو تعبير عن لهوِ الإنسان عن الأمور الجوهريّة العظمى. هذا الفراغ لن يملأه سوى «الصلاة، شخصيّة بين المخلوق والخالق، [هي] علاقة رهيبة قد تُخيف مَن لا يؤمن بها» (ص ١٧٩). إلى ذلك، تتحقّق وحدة الكيان في الحرّيّة المفتداة، الحرّيّة المتجسّدة في العالم.

أفكار المفكّر المُبدع خليل وامز سركيس في هذه الرباعيّة تعبّر عن معاناة روحيّة عميقة وقلق وجدانيّ لا ينام، حتّى تخال الفكر معه سكران بالتفكير والمقالاة في التفكير. إنّه

يسأل العالم عن ذاته، ولا ينفكّ يسأل حتّى يستفيق هذا العالم من سبات النوم في الكهف، فيستيقظ في نور جبينا وعينه على المستقبل. إذ إنّ خليل رامز سركيس مؤمن بالإنسان، قادرٌ على جعل الإلهيّ فاعلًا في أرض الإنسانيّة.

أ. س. دكّاش

يوسف غصوب

مجموعة الأعمال الكاملة

تقديم: د. جميل جبر، فؤاد أفرام البستانيّ، أدونيس

دار المراد، بيروت، ١٩٩٧، ٥ مجلّدات، ١٢١٨ صفحة

ممّا لا شكّ فيه أنّ الأعمال الأدبيّة الكاملة الصادرة مجموعةً تعود بالنفع العميم على القرّاء، ومتذوّقي الفنون. فهي من ناحية، تجمع نتاج الأديب، بمختلف ألوانه، بعضَه إلى بعض - وإن كان منثورًا - فيغدو الرجوعُ إليه أسهلَ وأيسر، ويصبح العملُ عليه مجموعًا أدقّ وأشملَ منه متفرّقًا؛ ومن ناحية أخرى، تكوّن المجموعات الكاملة تحفةً أدبيّة أو فنّيّة لا متدوحة عنها لهواة حفظ التراث، ومحبّي جمع الكتب الأنيقة على رفوف خزاناتها.

لقد جمع الناشر أعمال يوسف غصوب النثريّة الكاملة في أربعة مجلّدات، وأفرد مجلّدًا خامسًا لأعماله الشعريّة قاطبةً. سنحاول في هذه المجالة أن نسلّط الضوء على بعضٍ من ميزات هذا التاج، وإن بإيجاز، بالرغم من كون الأديب النهضويّ معروفًا وذائع الصيت، وأنّ أعماله الأدبيّة المنثورة سابقًا لاقت الرواج الذي تستحقّه.

صُدِّر المجلّد الأوّل (ص ٧-٤٤) ببحث للدكتور جميل جبر توقّف فيه على المحطّات الأساسيّة في سيرة المؤلّف، بدءًا من الولادة والطفولة، فالمدرسة وتفتّق القريحة، إلى معترك الحياة وبروز الأعمال الأدبيّة من نثر وشعر. أمّا أخلاق ومشاهد التي عَنْوَنَت الكتاب الأوّل فهي «مجموعة مقالات تناولت الأخلاق والعادات اللبنانيّة في مختلف شؤون الحياة، وقد ظهرت بين سنتي ١٩٢٠ و١٩٢٤ في صحف ذلك الزمان». هل يمكن اعتبار «الأخلاق والمشاهد» هذه بنت زمانها وعصرها، سيّما وأنّ أمورًا كثيرة تغيّرت وأوضاعًا عديدة تبدّلت؟ مَن يطالع هذه القصص يدرك أنّها صالحة لزماننا ولكلّ زمان، إذ هي تطال الإنسان في مختلف أوجه حياته ونشاطاته، كما أنّها تصوّر النفس البشريّة - التي لا تتبدّل - في خفاياها كافّة. ألا يقع القارئ في أيّامنا على عناوين في الجرائد والمجلّات العصريّة مثل «مشاهدات في المدينة» أو «مشاهدات من المجتمع» تصوّر حادثةً حيّة أو واقعةً غريبةً مع تعليق عليها يليق بالمقام؟

أمّا المجلّد الثاني فأفرد لرواية غصوب الوحيدة «بيت الغاب»[1] التي كان مسرحها الضيعة، وأبطالها أشخاص الضيعة من غنيّ مهاجر، وفقير مقيم، وكاهن وصحافيّ

---

(١) نالت جائزة جمعيّة «أهل القلم».

وسياسيّ... وقد تميّزت ببراعة التصوير الكاريكاتوريّ، وعفويّة الحوار الفصيح، والمحافظة على عنصر التشويق الضروريّ لكلّ بناء روائيّ. ليس غريبًا أن تترك «ضيعةُ الضيعات» – بيت شباب – مرتعُ الصّبا وفضاؤه الواسع أثرًا وانطباعاتٍ في مخيّلة الأديب، فينقل ما عاشه في أيّام الفترة إلى عالم الأدب والخيال، فتأتي روايته «حيّة ناطقة تصوّر المجتمع الريفيّ اللبنانيّ، في مرحلة ما بين الحربين، تصويرًا انطباعيًّا شائقًا».

إلى جانب المقالة والرواية، خاض غصوب في الفنّ المسرحيّ وفي الأقصوصة. وقد اختار لمسرحيّاته الثلاث العناوين التالية: «يوم أحد في الضيعة»[٢]، «قبضاي»، «طاغية القرية». والاثنتانِ الأخيرتان نشرتا في مجلّة المشرق (٢٩: ١٩٣١؛ ٣٠: ١٩٣٣). وقد «اختار الأديب أسلوبًا مبسّطًا، رشيقًا بين الفصحى والعاميّة». ومن أقاصيصه في المجلّد الثالث تقع على «آمرن أو حقد الأمومة»، «المغارة المرصودة»، «بين الحطّاب والأسد»، «القفّة»، «من ذكريات الصّبا»، «من ذكريات الطفولة»، منها ما هو موضوع بالعربيّة ومنها ما هو مترجم أو معرّب بتصرّف. لكن، وكما يبدو جليًّا، يدور معظمها في جوّ الضيعة وأرجائها، عالم طفولة الأديب وصباه.

وإن كانت قصص غصوب وروايته ومسرحيّاته قد بنيت على الخيال والصورة، وعلى أسلوب لغويّ رشيق منمّق، فإنّ دراساته وأبحاثه تركّزت على الدقّة والتحليل وسبر الأغوار وسعة الاطّلاع. وقد جاءت تتمحور حول الأدب، واللغة، والترجمة ومشاكلها، والحضارات الشرقيّة والغربيّة. كما تطرّق في بحث تاريخيّ اجتماعيّ طريف إلى بيروت القديمة وأهمّيّتها، وفي بحث آخر فنّيّ علميّ مفيد إلى ضرورة تبسيط أشكال الأبجديّة باختصار عدد الحروف المطبعيّة. وفي ختام المجلّد الرابع المعنون دراسات ومنوّعات لم يغفل الناشر ذكر بعض ممّا كُتب عن الشاعر يوسف غصوب، لعددٍ من الشعراء والأدباء لا يستهان به، نذكر على سبيل المثال لا الحصر: عمر فاخوري، يوسف الخال، إدوار حنين، فؤاد أفرام البستانيّ، خليل رامز سركيس... وليس أبلغ وأدلّ على منزلة غصوب الإنسانيّة والأدبيّة، من الاطّلاع في غاية المجلّد على لائحة أصدقائه التي حملت سبعة وأربعين علمًا في علوم الديانات المرحّدة، وفي ميادين الشعر واللغة والأدب، وفي الصحافة والسياسة.

ولئن كان النثر منطلقًا في الأدب ورنينًا في هذه المجموعة، فإنّ الشعرَ هو مسكُ ختامها وخمرتها المُسكِرة. فالمجلّد الخامس والأخير خصّص لأعمال غصوب الشعريّة: «القفص المهجور»، «العوسجة الملتهبة»، «قارورة الطيب»، «الأبواب المغلقة»، ولعددٍ من قصائده المبعثرة. وقد قدّم الشّعر بكلمةٍ للشاعر أدونيس في غصوب، وبأخرى للأديب المؤرّخ الموسوعيّ فؤاد أفرام البستانيّ تناول فيها مزايا شخص الشاعر الإنسان، وفرادة الشعر في دواوينه الأربعة، وملامح التجديد والعصرنة في بعض منها، إن لجهة موضوعات الشعر وأساليبه، أم لجهة الخطّ والرسوم والطبع. وقد ذيّل هذا المجلّد بمجموعة قصائد نظمها غصوب وهو على مقاعد الدراسة في الخامسة عشرة من عمره، إذ نشرت له مجلّة المشرق

---

(٢) نالت جائزة «مهرجانات بعلبك» المخصّصة لأفضل مسرحيّة.

بعضًا منها.

كما يجدر بنا أن نُشير إلى أهمّيّة البحث والمقدّمات التي تناول فيها الأديب جميل جبر سيرة غصوب ونتاجه الأدبيّ كافّة. وقد جاءت لتصدّر المجلّدات الأربعة الأولى، وتنير الطريق أمام متذوّقي نثر غصوب وشعره، وتسلّط الأضواء الكاشفة في وجه دارسي أعماله، والباحثين عن الجوانب المؤثّرة في حياته.

ختامًا، تضاف هذه المجموعة الأنيقة إلى العديد من مثيلاتها الكتب والمجلّدات؛ إذ عوّدت «دار المراد»، صاحبة الأعرام القليلة، القارئ العربيّ الإصدارات النفيسة. وهي، إلى جانب اختيارها العناوين المفيدة في ميادين التراث والأدب والمعرفة والفنّ والعلوم الإنسانيّة كافّة، تبقى حريصةً على إخراج هذه الأعمال في حلّة قشيبة تزدان من الورق بأفخره، ومن الترتيب بأدقّه وأذوقه، ومن الألوان بأدفأها وأكثرها ملاءمةً لكلّ عمل على حدة. وهي، بفضله تعالى، على هذه الدرب سائرةٌ بخطىً ثابتة.

ريمون حرفوش

تاريخ حلب الطبيعيّ في القرن الثامن عشر

تأليف الأخوين ألكسندر وباتريك راسل

ترجمة خالد الجبيلي

لا ذكر لمكان الطبع (حلب؟)، ١٩٩٧، ٤١٤ صفحة

كثيرون هم الرحّالة الغربيّون الذين خلّفوا لنا أخبار أسفارهم إلى بلداننا الشرقيّة، لكنّ أحدًا منهم لم يصل إلى ما انتهى إليه الأخوان راسل من شمول في العلم، ورصانة وجدّيّة في العمل. ويمتاز كتاب هذين العالِمين الإنكليزيّين بمجموعة من الصفات تُحلّه في أعلى المراتب بين أمثاله.

فالكسندر وباتريك راسل لم يكونا مسافرين عابرين، بل إنّهما أمضيا، لا سيّما أوّلهما، سنوات طويلة في حلب، يعملان طبيين في خدمة أهالي الشهباء، الأجانب منهم والمواطنين الأصليّين، لذا جاءت أوصافهم رسومًا حيّة ورصدًا دقيقًا للمدينة في مدّة من تاريخها قلّ من كتب عنها، فأماط الأخوان راسل اللثام عن كثير ممّا اكتنفها من غموض. وتكمن أهمّيّة مؤلّفهما في أنّه سجّل الآلاف من المشاهدات والملاحظات عن سكّان المدينة بجميع فئاتها الاجتماعيّة وطوائفها الدينيّة وفعّاليّاتها الاقتصاديّة، ووصف الأمراض التي كانت سارية في ذلك العهد وأساليب معالجتها، وقدّم تقارير وأرقامًا مفصّلة في كلّ الميادين التي خاض فيها، ووصف طيور المنطقة وأسماكها وحيواناتها البرّيّة، وكلّ ذلك بروح علميّة تتجلّى بدقيق الملاحظة، وبُعد عن الهوى والخيال في إبداء الأحكام، بالإضافة إلى الاستعانة بسائر ما كُتب عن المدينة قبل أن يؤلّف الأخوان كتابهما، علمًا أنّهما لا ينقلان عن السلف إلّا للمقارنة والمناقشة الهادئة الرصينة. والحقّ يقال إنّ هذا الكتاب، بحجمه وأسلوبه وشموله، لأشبه بموسوعة تحتلّ مكانًا مميّزًا إلى جانب موسوعة خير الدين

الأسديّ عن حلب.

وممّا يؤسف عليه أنّ ثمّة عددًا من النواقص شابت طبعة هذا المصنّف، نسوق بعضها لا للحطّ من قدر التحفة التي قدّمها الأستاذ خالد الجبيليّ إلى القارئ العربيّ، بل لتأتي الطبعة اللاحقة بأبهى حلّة. فمن تلك الهنات:

١ – الطباعة بحرف صغير وسطور مرصوصة ممّا يتعب القارئ المفروض فيه، على عكس ذلك، الاستمتاع بقراءة هذا السِّفْر النادر.

٢ – يصعب الوصول إلى فهرسّي المحتويات، فقد أُقحما بين نصوص أُخرى، أوّلهما في الصفحة ٢٢، والثاني في الصفحة ٢١٧!

٣ – كتابة الأعلام وبعض المفردات الأجنبيّة مضطربة، فتارة تُنْقل بالحرف اللاتينيّ وحده، بدون مراعاة القارئ الذي لا يتقن اللغات الغربيّة (مثلًا، ص ٦٨، ٧٠، ٧١، ٨٨...)، وتارةً أُخرى تُنقل بالحرف الأجنبيّ على نحوٍ مغلوط (مثلًا، ص ٦٠ pietro della valle، والصحيح Pietro della Valle –، ص ٣٩٠ Poulus، والصحيح Paulus–، ص ٣٩٣ Escirial، والصحيح Escurial – إلخ...). وطورًا تعرَّب الصيغة الأجنبيّة ولكن على نحو مغلوط أيضًا: فمعروف، مثلًا أنّ Tiberius يسمّى بالعربيّة «طيباريوس» لا تيريوس (ص ٦٨)، والعالم Assemani هو «السمعانيّ» العالم الماروني الشهير، لا أسيماني (ص ٢٣٦). وأحيانًا تَرِد صيغ الأعلام بالأجنبيّة مختلفة حتّى في الصفحة الواحدة، فلا يدري القارئ أيّها يعتمد (مثلًا، ورد في ص ١٤٨ وأعلى الصفحة ١٤٩ ثلاث كتابات لاسم علم واحد: D'ohosson، D'ohisson، D'ohosson)!.

٤ – على الرغم من المجهود الكبير الذي بذله المترجم، فهناك أغلاط لغويّة يا ليته تحاشاها: جلس على المائدة (ص ٣)، والصحيح: جلس إلى...؛ النساء تجلس (ص ٣)، والصحيح: يَجْلِسْنَ؛ يرتدي البدو ثيابًا بسيطة أكثر (ص ١١٦)، والصحيح: ثيابًا أبسط... وجلّ مَن لا يخطئ. وما كانت تلك الملاحظات الطفيفة لتستر حسنات الكتاب الكثيرة والكثيرة جدًّا.

ملاحظة أخيرة: لقد استعمل مُخرج الكتاب، في الصفحتين ١٣ و٢١٥، وسم الإطار الذي يزيّن غلاف مجلّتنا المشرق من دون الإشارة إلى المصدر، ويا ليته فعل. وهذه هي المرّة الثانية التي نلاحظ فيها هذا النوع من الاستعمال على يد المخرج نفسه، فقد لمسنا ذلك في كتاب صديقنا الدكتور سمير أنطاكي عن روّاد طبّ العيون في سورية، حلب، ١٩٩٣، ص 1 و43 و55 وسواها...

أ. ك. حشيمه

La France et les Maronites
par Nasri Salhab
Dar el-Machreq, Beyrouth, 1997, 252 pages

فرنسا والموارنة

تأليف نصري سلهب

دار المشرق، بيروت، ١٩٩٧، ٢٥٢ صفحة

يعرف القاصي والداني أنّ علاقات فرنسا بالموارنة مميَّزة ترقى إلى غابر الأجيال، لكن لم يُكتَب حتّى اليوم مؤلَّف خاصّ بهذه العلاقات، ممّا يبرز أهمّيّة كتاب الأستاذ نصري سلهب، سفير لبنان السابق في الڤاتيكان والقاضي والمحافظ والكاتب الذي نُشر له عدّة مؤلَّفات، منها على خطى محمّد و على خطى المسيح، وآخرها الإسلام كما عرفتُه دين الرحمة والسلام.

لم يسعَ المؤلِّف لتقديم بحث موغل في التفاصيل والدقائق، بقدر ما أراد أن يكون قريبًا من جمهور المثقّفين الواسع، ومع ذلك فقد امتدّ طوال عرضه إلى أوثق المراجع وأيّد طروحاته باستشهادات وأسانيد حفلت بها حواشيه، فجاءت تشفي غليل الاختصاصيّين أنفسهم وتنير بوضوح جنبات موضوع شائق طالما أثار اهتمام العامّة والخاصّة.

ذلك بأنّ علاقات فرنسا بالموارنة ظاهرة تكاد تكون فريدة في التاريخ. فهذه العلاقات ليست بين دولة ودولة، بل بين دولة، هي من الدول العظمى، وطائفة، محدودة العدد، إلّا أنّها صاحبة دور تاريخيّ لا يستهان به في منطقة الشرق الأدنى ولبنان خاصّةً. وقد نجح المؤلِّف في أن يبيّن أنّ تلك العلاقات ترقى إلى ما قبل الحملات الصليبيّة، إلى الأمبراطور شارلمان نفسه، ثمّ راحت تتوثّق عراها مع مرور الزمن لا سيّما منذ مجيء القدّيس لويس التاسع إلى الشرق، حتّى أيّامنا، مرورًا بلويس الرابع عشر وخلفائه، ونابليون الثالث، والحملة الفرنسيّة في أعقاب فتنة العام ١٨٦٠، وزمن الانتداب وما بعده. ولا يكتفي المصنِّف بعرض الأحداث السياسيّة، بل يظهر مدى العلاقات الثقافيّة والتربويّة أيضًا. ويتميّز عرضه بالنزاهة العلميّة والبعد عن الهوى، ومع كون المؤلِّف يشدّد على ما تتميّز به علاقة فرنسا بالموارنة، إلّا أنّه يظهر كيف نجحت تلك الدولة بأن تثبت صداقتها لجميع اللبنانيّين على السواء مهما اختلفت طوائفهم.

نُشير في الختام إلى غلط مطبعيّ صدر عن مصحّح المسوّدات نفسه (!) وهو أنّه أضاف إلى اسم فرنسوا ده شاستُوي F. de Chasteuil في أسفل الصفحة ٧٥، حرفَيْ .S.J وكأنّ الشخص المذكور هو من الرهبانيّة اليسوعيّة، في حين أنّ الإشارة كانت مخصّصة باسم الأب بيار فروماج Fromage في أعلى الصفحة التالية.

أ. ك. ح.

تاريخ الكحّاله

تأليف الأب شربل أبي خليل الأنطوني

المطبعة العربيّة، سدّ البوشريّة - لبنان، ١٩٩٧، ٦٥٦ صفحة

مؤلَّف استغرق إنجازه، بحثًا وجمعَ وثائق وكتابةً، سبعَ سنوات، فتحوّل إلى موسوعة تُقرأ فصولها وفقراتها قراءة وحدات كاملة متكاملة، لما فيها من وفرة معلومات ودقّة بحث ووضوح تعبير.

فصلها الأوّل عموميّات عن الاسم والوضع الجغرافيّ من موقع وحدود ومساحة، مع معلومات عن المناخ والتربة والماء، وعن النواحي السكنيّة من أحياء البلدة وهندسة بيوتها، قديمها وحديثها، وعن القضايا السكّانيّة (إحصاءات، حركة الولادات بين ١٨٧٢ و١٩١١، نبذة عن العائلات ونشاطاتها الاجتماعيّة وعن أنديتها من ١٩٣٢ إلى ١٩٩٥). تنتهي ببعض الملاحظات في حركة الزواج وظاهرة الهجرة.

يتضمّن الفصل الثاني نبذة «عن تاريخ البلدة العامّ» في حقبات ثلاث، أي قبل سنة ١٣٠٧، ابتداءً من ١٢٨١، ثمّ إبّان العهد العثمانيّ (١٥١٦-١٩١٨)، ختامًا بمجريات القرن العشرين لا سيّما صمود البلدة دفاعًا عن كيانها واستمراريّة وجودها.

يركّز الفصل الثالث على القضايا الإداريّة العامّة، من مشيخة الصلح والمجالس الاختياريّة ثمّ المجالس البلديّة مذيّلة بلوائح ما وصل إلى يد المؤلّف من أسماء الشاغلين لها. وفي الختام لائحة الذين فازوا من أبنائها بمراكز نيابيّة، في لبنان والمهجر.

الفصل الرابع يعالج الوضع العقاريّ بين ١٨١١ و١٩٣٧، استنادًا إلى صكوك الشراء التي تمكّن المؤلّف من الاطّلاع عليها. ويبلغ عددها ٢٣٦ صكًّا مفصّلًا (اسم المشتري والبائع، مصدر الوثيقة، الثمن، إلخ). يلي الجدول نماذج عن عقود المقاسمة الشرعيّة على الورثة.

الفصل الخامس مكرّس للوضع الضرائبيّ مع تفصيل ٥٩ مستندًا.

الوضع الاقتصاديّ (أي الفصل السادس) يحتوي على الأعمال الزراعيّة ونظام الريّ، وعلى الصناعة والتجارة، وعلى طرق المواصلات، وقد أتحفنا فيه المؤلّف بصور فوتوغرافيّة أصبحت نادرة، لبعض سيّارات «أبو دعسة» المشهورة.

الفصل السابع مخصّص للأوضاع الثقافيّة، ويحتوي على لوائح حاملي الشهادات وعلى نبذة عن مدارس البلدة.

يعالج الفصل الثامن «الفنون والأزياء القديمة» مع معلومات عن الذين تعاطوا الأدب والفنّ، مقرونة بنماذج من أعمالهم الزيتيّة والمنحوتة.

الفصل التاسع يأتي على ذكر نُبَذ عن الكنائس والأديار، قديمها وحديثها، مذيّلة بأسماء الكهنة وبجردة عن الكتب والمخطوطات القديمة وسجلّات الرعايا والأخويّات ووكلاء الأوقاف.

وهناك فصل نادر وجوده في كتب التاريخ، وهو العاشر. فيه تفصيل عن الزيارات الراعوية من ١٧٦٨ إلى ١٩٥٩، مطلعها زيارة البطريرك يوسف إسطفان في ٢١/٣/ ١٧٦٨، تليها في السنة ١٧٦٩ زيارة المطران أثناسيوس الحاج موسى. وقد دوّن المطران بطرس شبلي، في نهاية زيارته في ٣٠/٨/١٩١٢، محضرًا دقيقًا في ثلاث صفحات عن وضع الكحّاله الدينيّ والسكّانيّ، مع لائحة بأسماء الفقراء والأيتام.

وقد جمع المؤلّف في فصله الحادي عشر، ما أسماه «السجلّ الذهبيّ، ١٨٤٥-١٩٢٠» (ص ٤٠٥-٥١٠) وهو خلاصة سجلّات قيد المعمّدين والمثبّتين والمخطوبين والمتوفّين في رعيّة مار إلياس، في هذه الحقبة.

أمّا الفصل الأخير فمخصّص «لسلسلة الدعوات الرهبانيّة والكهنوتيّة النابتة في أرض الكحّاله».

خاتمة الكتاب سلسلة من الوثائق التاريخيّة المصوّرة وعددها ٥٦، ولوائح المصادر المخطوطة والمطبوعة التي غرف منها المؤلّف (ص ٦٢٢-٦٣٨)، وأخيرًا قاموس بعض المفردات العاميّة.

تاريخ الكحّالة مؤلّف ضخم سيصبح مرجعًا مبوّبًا سهل القراءة واضحًا، لكلّ ما تهمّنا معرفته عن هذه البلدة.

الأب سامي خوري اليسوعيّ

سيرة البطريرك خريسطوفورس الأنطاكيّ

صديق سيف الدولة

للكاتب الملكيّ المعاصر إبراهيم بن يوحنّا الأنطاكيّ الأبروطسبتار

تقديم وتحقيق الأرشمندريت إغناطيوس ديك

حلب، ١٩٩٧، ٧٦ صفحة

من الأهمّيّة بمكان أن تُنشَر مؤلّفات العرب المسيحيّين الأوائل، فإنّها تبرز مساهمة النصارى الفعّالة في الأدب العربيّ منذ بداياته، بالإضافة إلى ما توفّره من معلومات عن حياة الكنيسة في البلاد العربيّة والإسلاميّة سابقًا، ومدى الدور الذي اضطلع به أبناؤها على الصعد كافّة. فالمؤرّخون المسلمون القدماء قلّما اهتمّوا بغير الأحداث السياسيّة وأخبار الحروب، ولم يتركوا لنا، إلّا في ما ندر، تقارير عن الأوضاع الاجتماعيّة والفكريّة والدينيّة والاقتصاديّة. وعليه فإنّ الكتيّب الذي أصدره حضرة الباحث الأرشمندريت إغناطيوس ديك لهو جزيل الفائدة لمَن يهتمّ بتاريخ المسيحيّة وآدابها في الديار العربيّة الإسلاميّة.

إستند الأب ديك إلى المخطوطَيْن الوحيدَيْن المعروفَيْن بالعربيّة عن سيرة خريسطوفورس، أحدهما نقله بولس ابن الزعيم عن مخطوط سابق، والآخر في مكتبة دير القدّيسة كاترينا في سيناء، وعمد، قبل نشر النصّ، إلى التمهيد له بمقدّمة وافية عرّف بها

المؤلِّف، وأهمّ مراحل حياة خريسطوفورس، وأوضاع الكرسيّ الأنطاكيّ في زمانه، وتنظيم الكنيسة الملكيّة في العراق وبلاد فارس (إذ إنّ أصل البطريرك من بغداد)، وأوضاع المسيحيّين في الدولة الإسلاميّة ضمن إطار الأحداث السياسيّة آنذاك. وبعد إيراد النصّ الذي يحتلّ الصفحات ٢٥ إلى ٦٨، ينهي الناشر كتابه بفهارس للأعلام والبلدان والأقوام، مع بيان لائحة بمراجعه تكاد تكون جميعها بالفرنسيّة.

لا شكّ في أنّ الأب ديك، المعروف بسعة اطّلاعه على الشؤون المسيحيّة عامّة والتاريخيّة منها خاصّة، قدّم إلى القارئ العربيّ كتابًا عظيم الفائدة. فهو، على صغر حجمه، يُعلمنا بأمور كثيرة تتعلّق بالحقبة التي عاش فيها خريسطوفورس، إذ كانت منطقة حلب وأنطاكية تتقلّب بين مدّ الجيوش الإسلاميّة وجزر السلطة البيزنطيّة وعكسهما.

كذلك وُفّق الناشر في تحليلاته ومقارناته لضبط بعض التواريخ التي تمتّ إلى حياة خريسطوفورس، مصحّحًا، على سبيل المثال، ما وقع فيه العلّامة فيه من خطإ في شأن وجود التنظيم الكنسيّ الملكيّ بالعراق وبلاد فارس (ص ١٥-١٩).

إلّا أنّنا نأخذ على كتّاب الأب ديك عددًا من الهفوات كان بإمكان حضرته تحاشيها بسهولة لأنّها من الأمور الثانويّة، ولو استُدركت لظهر الكتاب بصورة علميّة مكتملة لا غبار عليها. فممّا لا نوافق سيادة الأب عليه، عزوفه عن إبراز الفوارق بين المخطوطَيْن «لئلّا يربك القارئ العاديّ»، فإنّه بعمله هذا تخلّى عن حسنة مهمّة وغير مكلفة تروق القارئ «غير العاديّ»، ولا يضير عامّة القرّاء إن جُعلت الفوارق في الحواشي لئلّا تقف عائقًا دون سلامة النصّ.

كذلك كان بإمكان الناشر العلّامة أن يصحّح الأغلاط الطباعيّة الكثيرة التي شوّهت عناوين مراجعه باللغات الفرنسيّة والإنكليزيّة والألمانيّة، وجميعها لا تخفى عليه أسرارها.

وأخيرًا، إنّ إبراز عناوين الكتب، إن في المتن أو في الحواشي، لم يخضع لقاعدة علميّة موحّدة، فجاءت تلك العناوين تارة، وفي غالب الأحيان، بحرف النصّ نفسه دونما إشارة تميّزها عنه، وتارة بين معقوفين، وتارة أخرى بحرف ثخين، والأفضل، كما هو متعارف عليه بين أغلبيّة العلماء، اعتماد الطريقة الأخيرة.

أملنا أن لا يحرمنا الأب ديك طبعة ثانية منقّحة من الهنات التي ذكرناها، لأنّ كتابه يستحقّ، في ما عدا ذلك، كلّ تقدير، ويوفّر للباحثين أداةً جزيلة الفائدة.

أ. ك. حشيمه

دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة
المجلّد الثاني: الكنائس الشرقيّة الكاثوليكيّة
تأليف مجموعة من الكتّاب
دار المشرق، بيروت، ١٩٩٧، ٣٦٢ صفحة

المجلّد الثاني هذا، كسابقه دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة، المنقول من اللغة الفرنسيّة، هو ثمرة تعاون بين الكنائس الشرقيّة الكاثوليكيّة في مصر، ودار المشرق في لبنان. قد يتساءل القارئ الذي اطّلع في المجلّد الأوّل على تاريخ الكنيسة عامّةً: لِمَ المجلّد الثاني هذا؟ يجد الجواب في مطلع مقدّمة الكتاب الذي نحن في صدده، فقد كتبت لجنة الإشراف ما يلي: «صدر الجزء الأوّل من دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة في أواخر العام ١٩٩٤، وقد خلا من الحديث عن مسيرة الكنائس الكاثوليكيّة في الشرق، لأنّ المؤلّف الفرنسيّ، جان كُمْبي، اهتمّ، أوّل ما اهتمّ به، بتاريخ الكنيسة في الغرب. لذا رأت لجنة تعريب الكتاب ضرورة إضافة تاريخ الكنيسة الكاثوليكيّة في الشرق، وذلك لدافعَين: أوّلًا، ليكوّن الكتاب بجزئيه، الأوّل والثاني، رؤية متكاملة لمسيرة الكنيسة الجامعة شرقًا وغربًا. ثانيًا، لأنّ للكنائس في الشرق العربيّ دعوةً خاصّة بها. فقد شاءت العناية الإلهيّة أن تحمّل هذه الكنائس رسالة الإيمان بسرّ التجسّد والفداء والقيامة في مناخ إسلاميّ، فتظلّ شاهدة على الإيمان في بقعة من العالم انطلقت منها الأديان وكأنّها منطقة تتسربل بأسرار الروح، عطّرتها حياة نسكيّة عاشها آباء لنا وشهداء، ولم تزل هذه الكنائس في الشرق العربيّ، بالرغم من ضآلة حجمها في وطنها الإسلاميّ، تؤدّي رسالتها الهامّة وكأنّها الاتّصال الدائم في مسيرة الإيمان أثناء القرون العابرة. ولقد طلبنا إلى متخصّصين أن يوجزوا أهمّ ملامح كنيستهم. ولعلّ النظرة الشاملة هذه تساعد القارئ على تكوين فكرة متكاملة واضحة، وإن متنضية، عن كلّ كنيسة من الكنائس الشرقيّة الكاثوليكيّة، وقد أتى الترتيب أبجديًّا. كما أنّنا أضفنا عرضًا للكنيسة الأثيوبيّة لما لها من علاقة وطيدة بالكنائس الشرقيّة، إذ أسّستها كنيسة الإسكندريّة».

أمّا أسماء الذين ألّفوا تاريخ هذه الكنائس فهم: الأرمنيّة (المطران بطرس مرادياتي)، الروم الملكيّون (الدكتور رسام كبكب)، السريانيّة (المطران ميخائيل الجميل)، القبطيّة (القمّص إسكندر وديع، والأنبا مكاريوس توفيق، والأب يشوي فوزي، والبطريرك إسطفانوس الثاني غطّاس)، الكلدانيّة (الأب أليير أبونا)، البطريركيّة اللاتينيّة الأورشليميّة (أحد كهنتها)، المارونيّة (الأب بولس صفير)، الإثيوبيّة (الأب صلاح أبو جوده).

تُزيّن صفحات الكتاب ٧٥ رسمًا لبعض الشخصيّات التي قامت بدور مهمّ في كنيستها، وللمعاهد والمؤسّسات التي تشهد على نشاطها الروحيّ والتربويّ والاجتماعيّ.

أ. ص. حموي

Studia Orientalia Christiana

I - Collectanea 26-27: Studia - Documenta

2 - Collectanea 28: Studia - Documenta
The Franciscan Centre of Christian Oriental Studies
Cairo - Jerusalem, 1996, 1997, 638+320 pages

دراسات شرقيّة مسيحيّة

مجموعة ٢٦-٢٧؛ مجموعة ٢٨: أبحاث، وثائق
المركز الفرنسيسكانيّ للدراسات الشرقيّة المسيحيّة،
القاهرة والقدس، ١٩٩٦، ١٩٩٧، ٦٣٨+٣٢٠ صفحة

المجموعة الأولى (٢٦-٢٧) هي كناية عن يوميّات دير الرهبان الفرنسيسيّين في الإسكندريّة المعروف بدير القدّيسة كاترينا، دوّنها الأب موريسيو بلّشير (١٨٩٨-١٩٧٨) وأورد فيها أخبار ذلك الدير وكنيسته ورعيّته والإرساليّات التابعة له منذ بداياته في مطلع القرن الثالث عشر حتّى العام ١٩٥٦. وقد نشر تلك اليوميّات وقدّم لها الأب ليبرو كروتشياني. ولا يخفى ما لهذه اليوميّات من أهمّيّة في معرفة أخبار الكنيسة والبلاد عامّةً، وقد أجاد الناشر عرضها وإخراجها بوضوح، داعمًا متنَها الضافية (ص ١-٢٨) بثبت بيليوغرافيّ موسّع (ص ٢٩-٤٥)، مذيّلًا متن اليوميّات بعدّة ملاحق: الأوّل (٣٨٧-٤٤٨) مخصّص بالمؤسّسات والجمعيّات التابعة للدير المذكور؛ والثاني متعلّق بسائر أماكن وجود فرنسيسيّي حراسة الأراضي المقدّسة في مصر، سواء في الإسكندريّة نفسها أو في الدلتا والفيّوم والقاهرة (٤٤٩-٥٣٤)؛ أمّا الثالث فهو فهرس بالموادّ (ص ٥٣٧-٥٨٠)، في حين أفرد الرابع لفهرس بالأعلام وآخر بأسماء الأمم والشعوب والديانات والمذاهب، وآخر بالتعابير العربيّة والتركيّة المتميّزة، وآخر بالرسوم.

المجموعة الثانية متنوّعة الموضوعات، أوسعها دراسة قام بها الأب منصور مسترِيح (ص ٥-١٤٤) في شأن مصطلحات الشرع الكنسيّ والمعايير المتّبعة في نقلها إلى العربيّة، وقد أفرد لتلك الدراسة تعريف خاصّ يلي هذه التبذة. ثمّ هناك مقالتان للأب وديع أبو الليف (ونحن نفترض أنّه صاحب المقالين لأنّ التوقيع غير كافٍ وجاء على النحو التالي: A. Wadi)، والأولى دراسة في ترجمة عربيّة غير منشورة للقدّيس أنطونيوس (ص ١٤٥-١٦٠)، والثانية دراسة بعنوان «الرشيد ابن الطيّب وكتابه الترياق» (ص ٢٧١-٢٨٤). أمّا المقالات الأخرى فهي الآتية: «حول طبعة حديثة لمؤلّفات برلس النتيّ» بقلم إ. لوكيسي، و«سقوط القدس بحسب عظة الراهب إستراتيجيوس» بقلم ب. بيرونيه، «القدّاس الأورشليميّ» بقلم إسطفان فرهلست، «رحلة ألفيزه كرتاريتي إلى الأرض المقدّسة ٢٤ يوليو - ٢٩ سبتمبر ١٥١٦»، بقلم سيتر ده مانتولي. الموضوعات كما هو ظاهر، شائقة جميعها، بعضها كُتب بالفرنسيّة وبعضها الآخر بالإيطاليّة.

أ. ك. ح.

Lexique latin-arabe, arabe-latin
du Droit Canon des Eglises Orientales Catholiques
Avec présentation des travaux de la commission
par le P. Vincent Mestrih, OFM
Tiré à part de SOC Collectanea 28, 1995, Le Caire, 144 pages

معجمان وجيزان لاتينيّ عربيّ وعربيّ لاتينيّ
لِـ «مجموعة قوانين الكنائس الشرقيّة الكاثوليكيّة»

ذكر المؤلِّف، في عرضه أعمال اللجنة التي قامت بترجمة تلك القوانين، المبادئ والمقاييس التي سار عليها الأعضاء لإنجاز مهمّتهم، نلخّصها في ما يلي، مع أنّها مبادئ ومقاييس لا تخفى على العاملين في حقل الترجمة: توحيد مصطلحات الشرع الكنسيّ، علمًا بأنّ هذا التوحيد ليس محبَّذًا في جميع الحالات، وبأنّ مجموعة هذه المصطلحات قد تكون إسهامًا في وضع معجم عربيّ في الشرع الكنسيّ؛ الأمانة للنصّ اللاّتينيّ الأصليّ؛ استعمال المصطلحات الشائعة، ولا سيّما مصطلحات الشرع المدنيّ؛ استعمال المضارع (مع «ينبغي أن» أو ما يشبهها) في القوانين التي تعبّر عن أمر أو إجراء؛ استعمال فعل «سارع إلى» للتعبير عن التأهُّب للقيام بعمل؛ قد يطابق فعل مجهول فعلًا لازمًا، لا بل فعلًا معلومًا؛ قد يُترجَم فعل بظرف، وظرف لاتينيّ بمفعول مطلق أو بصفة أو بفعل أو بعبارة؛ قد يُترجم اسم تليه صفة باسمَين، أو صفةٌ باسم أو ظرف؛ قد يترجَم اسم جنس باسم نوع، والعكس بالعكس؛ تفضيل الجملة التابعة على الجملة اللاتينيّة المعطوفة، بالحفاظ على ترتيب الكلمات على قدر الإمكان؛ ترجمة التعابير اللاتينيّة بتعابير عربيّة أو بما يناسبها.

وفي القسم الثاني معجمان وجيزان مزدوجان لاتينيّ عربيّ وعربيّ لاتينيّ، توقّفنا على أوّلهما فقط، لأنّ الترجمة التي نحن بصددها هي من اللاتينيّة إلى العربيّة. وثمّة لاحظنا بعض الأخطاء نسوق طائفة منها، على سبيل المثال، أخذناها من حرف m الذي يتناول ١٢٦ ترجمة عربيّة لكلمات أو تعابير لاتينيّة. يجد القارئ في القسم الأوّل من السطر ما ورد في النصّ، وبين هلالين الكلمة التي نقترحها.

- magis intelligo = استوعب أكثر فأكثر (لا يقال في العربيّة: أكثر فأكثر، بل يقال مثلًا: ازداد استيعابًا يومًا بعد يوم).
- magisterium = تعليم (= سلطة تعليميّة، حيثما وردت هذه الكلمة).
- magistratus = صاحب السلطة (= وردت في عبارة tenere magistratum، ومعناها تولّى الرئاسة).
- animo magno = عن نفس طيّبة (= بهمّة واسعة، بشهامة نفس).
- mandans = مفوّض (= موكِّل).
- manifestatio = إعلان (= كَشْف).
- membra nata = أعضاء تلقائيّون (= حتميّون بالأحرى = راجع ترجمة البولسيّين).
- mens= روح (= نيّة).

- minister sacer = خادم الأقداس (أظنّ أنّه الخادم المكرّس).
- moderator = مُشرف (= موجّه).
- modus procedendi = طريقة إجراء (= كلمة إجراء كافية).
- a momento = منذ (= من لحظة).
- necto moram = عوّق (= أجّل).
- motivus = دافع (= حبّيّة: راجع ترجمة البولسيّين: سياق الكلام).
- modus = نشاط (= حركة: أي منظّمة).
- mox = فورًا (= سريعًا).
- munimen = حصن (= صَوْن).
- munio = أرفق (= زوّد).
- mutilo = بتر عضوًا (= شوّه: هنا).
- mysterium = سريرة، سرائر (= أسرار: سياق الكلام).

بلغ عدد ملاحظاتنا ٢٠ من أصل ١٢٦ كلمة أو عبارة مترجمة، أي ١٦٪ فقط، وهي نسبة ممتازة، لا سيّما أنّ المؤلّف قد يعترض على بعض ملاحظاتنا أو على العديد منها.

لا يسعنا إلّا أن نختم التعريف الوجيز هذا بالتشديد على جودة هذه الترجمة التي قامت بها اللجنة المصريّة. وبما أنّنا رأينا العديد من وجوه الشبه بين هذه الترجمة وترجمة الآباء البولسيّين، وفضّلنا تارة هذه وتارة تلك، نتمنّى أن تصل الكنائس الشرقيّة إلى التوحيد بينهما لمزيد من خدمة هذه الكنائس.

أ. صبحي حمويّ

من مؤلّفات الأب بولس الفغالي، ١٩٩٧

يتابع حضرة الخوري بولس الفغالي إصدار كتبه بوتيرة سريعة وهمّة عظيمة، وقد نشر في الأشهر القليلة الأخيرة تسعة مؤلّفات موزّعة على سلاسل ثلاث، علمًا أنّه يدير نحو تسع سلاسل بلغت إصداراتٍ بعضها الخمسة عشر، وغاليتها من قلم حضرته. ألا زاده الله نشاطًا!

أمّا ما بلّغنا من هذا الإنتاج في الدفعة الأخيرة فيتوزّع كما يلي:

١ – من سلسلة «دراسات بيبليّة»:

أ – إنجيل متّى. بدايات الملكوت، الجزء الأوّل، الرقم في السلسلة: ١٤، ٥٥٦ صفحة من القطع الكبير. وسوف يليه، بحسب المؤلّف، جزءان!

ب – سفر الرؤيا بين الأمس واليوم، الرقم: ١٥، ٤٥٦ صفحة من القطع الكبير. وهذا الكتاب حصيلة المحاضرات التي تُليت في مؤتمر سيّدة البير الكتابيّ الخامس (١٩–٢٥

يناير ١٩٩٧)، نسّقها الأب الفغالي وقدّم لها، كما أنّه عرّب قسمًا منها ممّا تُلي باللغات الأجنبيّة.

٢ - من سلسلة «القراءة الربّيّة»: على عُود بعشرة أوتار، الرقم: ٨، ٢٠٨ صفحات. قدّم الفغالي في هذا الكتاب ثلاثين مزمورًا توافق بعض الأعياد الرئيسة كالميلاد والغطاس والشعانين والقيامة والصعود.

٣ - من سلسلة «محطّات كتابيّة»:

أ - رسالة القدّيس بولس إلى أهل تسالونيكي، الرقم: ٥، ١٩٢ صفحة. وفي ختامه فهرس بالكلمات اليونانيّة الواردة في الرسالة ومقابلها بالعربيّة.

ب - كلمة الله ينبوع حياة، الرقم: ٦، ١٦٦ ص. ويحوي هذا الكتاب ترجمة عدد من المحاضرات التي أُلقيت في المؤتمر الذي عقدته، بمدينة هونغ كونغ، «الجمعيّة العامّة الخامسة للرابطة الكتابيّة» في تمّوز/ يوليو ١٩٩٦. وفي ختام الكتاب نصّ البيان الختاميّ الصادر عن المؤتمر وفيه قراءة حاضرنا قراءة موجزة في ضوء حادثة السامريّة التي عرفت المسيح وراحت تعلنه على أبناء بلدها.

ج - رسالة القدّيس بولس الثانية إلى أهل تسالونيكي، الرقم: ٧، ١٢٨ ص.

د - الإيمان وسرّ الخلاص، الرقم: ٨، ٣٢٠ ص. جمع هذا الكتاب موضوعات كتابيّة ولاهوتيّة مختلفة تتمحور حول أقطاب ثلاثة: وجه الله، يسوع المسيح في موته وقيامته، أسرار الكنيسة. وهذا المؤلَّف مفيد جدًّا لأنّه يتطرّق إلى أمور عقيديّة كثيرة وأساسيّة في ضوء النصوص الكتابيّة.

هـ - رسالتا يعقوب ويهوذا إلى الكنيسة الجامعة، الرقم: ٩، ٢٧٦ ص. هاتان الرسالتان قلّما تُقرآن في الحياة الليتورجيّة اليوميّة، وهذا ما يؤسف عليه، لأنّهما غاية في العمق والغنى. وفي كتاب الأب الفغالي فهرسان للكلمات اليونانيّة الواردة في الرسالتَين (ص ١٨٩-١٩٤ و٢٦٧-٢٧٠).

و - خراف ضالّة. حوار مع شهود يهوه، الرقم في السلسلة: ١٠، ١٨٠ ص. هذا الكتاب هو بالحقيقة بقلم عدّة مؤلّفين، أوّلهم الأب بولس الفغالي (ص ١-٦٠)، والثاني الأب حنّا داغر (ص ٦١-٩٨). أمّا القسم الثالث فهو بقلم مؤلّفين اثنين: توفيق دياب وجوني خوري (ص ٩٩-١٢٤)، وكذلك القسم الرابع (ص ١٢٥-١٦٢). والقسم الأخير والخاتمة هما بقلم الأب بولس الفغالي. فهذا التنوّع بالمصادر، لا سيّما أنّ بعضها مقالات وبعضها محاضرات، يفسّر ما يظهر من تكرار في طيّات الكتاب. إلّا أنّ ما يوحّد بين الأقسام هو اللهجة، إذ يجتهد المؤلّفون في اعتماد أسلوب جديد لمواجهة شهود يهوه، هو الحوار الهادئ المبنيّ على المحبّة.

أ. ك. حشيمه

الإنسان في المجمع الفاتيكانيّ الثاني

تأليف المطران حبيب خليفة

منشورات المركز الرعويّ للأبحاث والدراسات

دير ما روكز، الدكوانه (لبنان)، ١٩٩٧، ٢٠٢ صفحة

عُرِف المطران حبيب خليفة اليسوعيّ، رئيس أساقفة أوستراليا على الموارنة سابقًا، بنشاطه الثقافيّ الكثيف المتعدّد الوجوه. فقد حرّر عشرات المؤلّفات والمقالات في علوم اللاهوت والتاريخ والإسلاميّات والأدب والاجتماع. وبفضل خبرته مستشارًا لاهوتيًّا في المجمع الفاتيكانيّ الثاني، فإنّه تابع عن كثب القضايا الأساسيّة التي طرحها هذا المجمع التاريخيّ، وزوّد طلّابه ورعاياه وقرّاءه أبحاثًا له في هذا المجال، كان آخرها هذا الكتاب المميَّز.

فموضوع الإنسان هو من الموضوعات الجوهريّة التي تهمّ المجتمع منذ بداياته، يشغل باله على نحو ما يشغله موضوع الله، ولا عجب فالإنسان هو على صورة الله ومثاله. وتعليم المجمع الفاتيكانيّ في هذا المجال من أشمل ما قيل وأجمل، يتّسم بالعمق من جهة وبالانفتاح من جهة أخرى، وقد أجاد سيادة المطران خليفة بعرضه على خير وجه.

يبدأ الكتاب بتبيان «المفهوم الكتابيّ واللاهوتيّ والفلسفيّ والآبائيّ للإنسان قبل المجمع الفاتيكانيّ الثاني»، وخلاصته أنّ قيمة الإنسان تقوم على كونه خليقة الله، خَلَقه على مثاله ليكون سيّد العالم، حرًّا مدركًا، يسمو بجسده وروحه وقلبه مبتعدًا عن الشرّ ومتغلّبًا عليه، يساعده المسيح ابن الله المتأنّس، الفادي والمخلّص، ليرقى إلى كمال أبناء الله.

ويلي المقدّمةَ، البليغةَ على إيجازها النسبيّ، اثنا عشر فصلًا تحيط بموضوع الإنسان من جميع جوانبه، وعناوينُها تغني عن الإطالة في العرض: حريّة الإنسان وكرامته، حقوق الإنسان، الإنسان والخلاص، الإنسان والخطيئة، الإنسان والألم، الإنسان والتوبة، الإنسان والتربية، الإنسان والثقافة، الإنسان وتقدّم العلوم والتقنيّات، الإنسان والسياسة، الإنسان والاقتصاد، الإنسان والإلحاد.

كتاب في موضوع عصريّ بالغ الأهمّيّة، عالجه خير عالم.

أ. كميل حشيمه

لاهوت التاريخ البشريّ

تأليف الأب فاضل سيداروس اليسوعيّ

دار المشرق، سلسلة «دراسات لاهوتيّة»، بيروت، ١٩٩٧، ١٠٠ صفحة

رأى بعضهم أنّ الشرقيّين لا يتمتّعون بالحسّ التاريخيّ، وعليه ليس عندهم نظرة إلى علم لاهوت التاريخ. لذا فإنّ دراسة الأب سيداروس تسدّ ثغرة في الكتابات اللاهوتيّة العربيّة، لا سيّما أنّ الوجود التاريخيّ هو من أهمّ القضايا الفكريّة المعاصرة.

يركّز الكتاب على اتّجاه التاريخ من جهة، وعلى معناه من جهة أخرى. والمقاربتان متكاملتان، ولولا التسلسل الزمنيّ لوقع لاهوت التاريخ في فخّ النظريّات والمثاليّات لأنّه لا ينطلق من الواقع التاريخيّ. ولولا البحث عن «المعنى» لوقع لاهوت التاريخ في فخّ انغلاق التاريخ على نفسه.

وتعتمد الدراسة على ثلاثة تيّارات مسيحيّة: الشرقيّ المتمثّل في الفكر الروسيّ في القرنين ١٩ و٢٠ والمستند أساسًا إلى الآباء الشرقيّين، والغربيّ الكاثوليكيّ المعتمد أساسًا على أوغسطين، والغربيّ الإصلاحيّ المعتمد على لوثر. ولكنّ النظرة التي يعرضها سيداروس هي في النهاية نظرة شخصيّة مضمونًا وقالبًا، إذ إنّها لا تتقيّد بمصادرها بل تستلهمها فقط.

الدراسة عميقة موثّقة وفي الوقت نفسه سهلة المنال مستساغة.

أ. ك. ح.

Le Père Arrupe
L'Eglise après le Concile
par le P. Jean-Yves Calvez
Les Editions du Cerf, Paris, 1997, 220 pages

الأبّ أرّوبي – الكنيسة بعد المجمع الفاتيكانيّ الثاني
تأليف الأب جان إيف كالفيز

الأب جان إيف كالفيز، اليسوعيّ الفرنسيّ، المعروف بأعماله عن فكر كارل ماركس، يتناول في هذا الكتاب موقع رئيس عامّ الرهبانيّة اليسوعيّة الراحل الأب بدرو أرّوبي من العام ١٩٦٥ إلى ١٩٨٣، وهو كان المشترك بفعّاليّة في مختلف لقاءات تلك الفترة (جلسة المجمع الفاتيكانيّ الأخيرة، جلسات اجتماعات الأساقفة في أميركا اللاتينيّة، واجتماعات الأساقفة الأفارقة وغيرها).

يقول الأب كالفيز في مقدّمة الكتاب عن الأب أرّوبي: لقد كان الأب أرّوبي رائدَ العمل الكنسيّ بعد المجمع الفاتيكانيّ الثاني، وعاملًا بموجب توجيهات الكنيسة في عدّة مجالات لإنعاش روح الإنجيل في العقول والقلوب، في وقت كان فيه نقد الدين والإيمان مسيطرًا. الأب أرّوبي كان له الفضل في إعادة تحديد بعض المفاهيم الأساسيّة التي تتعلّق بمهمّات الكنيسة في العالم: من الرسالة إلى الرسالات، وهذه قضيّة القضايا في الرهبانيّة اليسوعيّة وفي عمق وجدانها. الرسالة تتفرّع أو تتجسّد في رسالات، مهمّتها نشر الإنجيل وبشراه. إلاّ أنّ ذلك يجب أن يتمّ بالكثير من «الحذر الرعويّ»، فالتقدّم والعدالة لا يتقدّمان الرسالة بل هما منها وفيها. ورئيس الرهبانيّة الراحل، الذي عاش جزءًا من حياته في اليابان، اهتمّ بموضوع الثقافة والمثاقفة، حيث إنّ لا ثقافة من دون مثاقفة ومن دون روح. وكتب أيضًا في قضيّة الفكر والعقل البشريّ، حيث إنّ للعقل مهمّات ذات طابع ربّانيّ، لا ينبغي أن

تُوضَع جانبًا.

وأخيرًا يحدّثنا الأب كالفيز عن عقيدة الأب أرّوبي في مجال الحياة الروحيّة، وهي من صلب الروحانيّة الإغناطيّة، إذ إنّ الإرسال للبشرى يشكّل فيها بعدًا أساسيًّا. الأب أرّوبي هو عظيم من عظماء عصرنا كانت تحرّكه محبّة الله الساكنة في كلّ وجه بشريّ.

أ. ص. دكّاش

شَذْو العنقيد

تأليف المطران فارطان أشكاريان

ترجمة جولي مراد

دار المراد، بيروت، ١٩٩٧، ١٣٦ صفحة

خير ما يُقال في تعريف الكتاب هنا هو ما سطّره قلم الأب جورج بغيان في مقدّمته: «شذو العناقيد هو عصارة القيَم والمبادئ الإنسانيّة والروحيّة التي تقطّرت في وجدان سيادة المطران فارطان أشكاريان على مرّ السنين وتفجّرت كلمات حُبلى بعمق إيمان، ووضوح رؤية، وأمانة رسالة للإنسان والحياة». الموضوعات التي تطرّق إليها المؤلّف تمسّ إلى الذات العميقة في مواجهة القدر والعالم والناس، فإلى الأمومة وقيَمها وقد خصّها سيادته بصفحات رائعة (٤١-٥٤)، فإلى الوطن والثقافة وأمور أخرى جوهريّة. ويعالجها المطران أشكاويان بإخلاص وصدق ودقّة ملاحظة يرافقها عاطفة تثور حينًا وتلين أحيانًا، ممّا يطبع الكتاب بنفحة شعريّة تراكب الشطحات الفكريّة وتبرزها في حلّة جماليّة مميّزة. ولا شكّ في أنّ للمعرّبة فضلًا في نقل هذا الكتاب القيّم إلى لغة الضاد، إذ جاء أسلوبها سلسًا مرنًا يطارع الفِكَر، فيثور معها إذا ثارت، ويتأوّه إذا ما بدا ثمّة ألم، ويتهلّل حيثما يتفجّر الفرح. وجاء إخراج الكتاب الرائع يدلو بدلوه ويبهج القارئ بذوقه الرفيع وحسن اختيار الرسوم التي رافقت النصوص، وجميعها من صنع أشهر الرسّامين العالميّين.

ولمّا كان هذا الكتاب التحفةُ يفي الكمال في جوهره ومظهره، نسوق بعض التصحيحات اللغويّة بغية التحسين. فقد وقع، في ما يتعلّق بالتشكيل، عدد لا بأس به من الأغلاط، بعضها مطبعيّ بدون شكّ: السعادة ذَروةٌ هية (ص ٦)، والصحيح ذُروةٌ؛ الحياة أغنيةٌ (ص ٦)، والصحيح أُغنية؛ خيوط زَكاء (ص ٣٧)، والصحيح ذُكاء، بالذال وبالضمّ، وذُكاء هي عَلَمٌ للشمس؛ أروي عطش (ص ٣٤ و١٣٠)، والمفروض أُروي بضمّ الألف؛ الرِمْس (ص ٧٥، ٧٩، ١٣٣)، والصحيح الرَمس بفتح الراء، وهو القبر؛ أتضافر مع الجمال قيامًا (ص ٤٠)، والمفروض قِيامًا؛ ليس الحبّ... تضحيةً وعزاءً بل حقيقةً (ص ٨٩)، والصحيح حقيقةٌ؛ أقبِض على الحياة (ص ١٠١)، والصحيح إقبِض بكسر الألف؛ صِمتًا (ص ١١٩)، والمفروض صُمْتا أي صيتا؛ أضأتَ قنديل (ص ١٢٦)، والصحيح أضأتَ. وثمّة أخطاء سهو، كالذي ورد في ص ١١٤: «فتشتُ عن فنّ، بحثت عن روح تضاهيان روعة قلب...»، والصحيح هو يضاهيان بصيغة المذكّر. وهناك أخطاء

شائعة كاستعمال التجلُّر بمعنى التأصُّل في حين هو عكسه تمامًا (ص ١١٤)، أو استعمال كلمة هيكل بمعنى المذبح، كما ورد في الصفحة ١٠٨: «على هيكل معبد مشرق»، والمفروض: على مذبح معبد، فالهيكل هو المعبد، وهل يكون الهيكل في الهيكل؟ إلى ذلك كنّا نودّ لو تحاشت المترجمة الكريمة بعض المفردات الغريبة التي لا يفهمها المتبحّرون، فكيف بعامّة قرّاء المطران أشكاريان؟ من هذا قولها: لمّا كنت خلامًا سَهْوَدًا (ص ١٢)، وقد فهمنا، بعد العودة إلى معجمنا المنجد أنّ الغلام السهود هو الفتى الحَدَث الغضّ. ومن هذا أيضًا قولها: أتأرّث حبًّا (ص ٣٧)، واضطررنا، ومعنا بعض المتضلّعين من اللغة، إلى الاستنجاد ثانيةً بمنجدنا، فعرفنا أنّ التأرّث إنّما هو التوقّد. ومن ذلك أيضًا: أغدف الليل سدوله، ويا ليته قبل بعبارة أبسط: أرخى الليل سدوله؛ علمًا أنّ فعل «أغدف» هو لازم غير متعدّ، فيقال: «أغدفَ الليل» وحسب.

هذا ما بدا لنا أن نقوله بغية الخدمة النصوح نسديها إلى مَن نعترف له مكرّرًا بالعمل المبدع الجميل. وإلى المطران أشكاريان أيضًا نكرّر شكرنا مثمّنين عطاءه، فلئن عرفناه في ما قبلُ ناثرًا أنيقًا، إذ بنا نكتشفه اليوم شاعرًا محلّقًا.

أ. ك. حشيمه

هل أنت معي؟

تأليف المطران بطرس مراياتي

دار المراد، بيروت، ١٩٩٧، ١٦٠ صفحة

المطران بطرس مراياتي، رئيس أساقفة حلب على الأرمن الكاثوليك، جمع في شخصه صفات الراعي الغيور الفطن والعالِم المتبحّر في شؤون الدين والدنيا. وكتابه هل أنت معي؟ خير دليل على تلك الظاهرة. فهو عصارة خبرة الأسقف الروحيّة الغنيّة، يدعمها اطّلاع واسع نتيجة قراءات شاملة وأسفار متنوّعة الاتّجاهات والأهداف. ومن الدفّة إلى الدفّة، يأخذ الكاتب بيد قارئه، بل بقلبه وذهنه وشخصه كاملًا، فيسير معه في سلسلة من الأحداث تُستعرَض فتُستخرَج منها أمثولات بليغة دامغة. وما يزيد في وقعها أنّها تأتي بأسلوب جذّاب طريف سلس ولغة عربيّة ناصعة البيان، ملكَها سيادتُه كما ملكها قبله المرحوم عمّه الورتيت بولس الذي دبّج في نشرة طائفته بالشهباء عشرات المقالات القيّمة الشائقة. ونحن شاكرون للمطران مراياتي الذي جمع هذه النبذ وقد نشر بعضها في مجلّة بيليا الجُبيليّة لمؤسّسها المغفور له الأب لويس خليفة، ونأمل في ألّا يخلي علينا بالمزيد.

كما أنّنا نأمل من سيادته إصلاح غلطَيْن وردا في كتابه ويسّتان إلى عضوَيْن من رهبانيّتنا. فقد ذكر في الصفحة ٢١ الأب لوسيان دوفال الذي اشتهر بأغانيه في السبعينات، وهو في الحقيقة إيميه Aimé دوفال. وذكر في الصفحة ١٥٦ الأب Teillard de Chardin الفيلسوف الشهير، واسمه الصحيح... Teilhard ولعلّ الغلط طباعيّ. ثمّ إنّنا نشير إلى خطإ لغويّ شاع كثيرًا بين إخواننا الحلبيّين لم يَسْلم منه سيادته، فعسى يكون هو السبّاق إلى تصحيحه!

ذلك بأنّه قال (راجع ص ٩) إنّ نُسخ الإنجيل توضع على الهياكل، وإنّه شاهد في صالة من صالات إحدى الكنائس، هيكلًا صغيرًا وُضع عليه كتاب مقدّس (ص ٥٧)؛ والواضح من المقطعَيْن المذكورَيْن أنّ المعنيّ هو المذبح لا الهيكل. فالهيكل هو البناء الذي تُقام فيه الشعائر، كالكنيسة، وهو أيضًا الموضع الأصغر في صدر الكنيسة الذي يقدَّم فيه القربان، وهو ما يدعوه العامّة بالخُورس.

بقي أن نثني على إخراج الكتاب البديع، وقد زاد في جماله إقحام عدد من الرسوم المناسبة بريشة كبار الفنّانين العالميّين.

أ. كميل حشيمه

القدّيسة تريز الطفل يسوع معلّمة الكنيسة
الأعمال الكاملة

نقلها عن الفرنسيّة ألبير أبونا، بيار ريشا، د. دعد قنّاب هاشم

قدّم لها الأب جان سليمان الكرمليّ

سلسلة «تراث الكرمل»، الرقم ٢٠، بيروت، ١٩٩٧، ١١٧٠ صفحة، تجليد فنّيّ

باشرت الرهبانيّة الكرمليّة، منذ أواخر الثمانينيّات ومطلع التسعينيّات، تصدر في بيروت سلسلة قيّمة من كتب أعلامها الروحيّين بعنوان «تراث الكرمل»، فكان أوّلها مؤلّف تريزا الأفيليّة الموسوم بكتاب السيرة، نقله إلى العربيّة أنطوان سعيد خاطر (طبعة ١، ١٩٨٦؛ طبعة ٢، ١٩٩١). ثمّ صدر للمؤلّفة نفسها كتاب المنازل نقله أيضًا وعن الإسبانيّة أنطوان خاطر (١٩٩١)، وتبعه في سنوات قليلة جدًّا عدد من المؤلّفات لا سيّما للقدّيس يوحنّا الصليب، نذكر منها: مع يوحنّا الصليب، مدخل إلى تعليمه الروحيّ مع مختارات، تأليف أنجلو ألباني وماسّيمو أسترو، ترجمة الأب إسطفان طعمه (الرقم ١٠ في السلسلة، ١٩٩١ - وقد عرّفته المشرق في حينه، ١٩٩٢، ص ٥١٨-٥١٩)؛ يوحنّا الصليب: الأعمال الصغرى، نقلها عن الإسبانيّة أنطوان خاطر وأنطوان عيد ولوران قديح وشامين ريشا، الرقم ١١، ١٩٩٢؛ يوحنّا الصليب: النشيد الروحيّ، نقله أ. خاطر، الرقم ١٢، ١٩٩٤؛ يوحنّا الصليب: الليل المظلم، ترجمة الأب إسطفان طعمه، الرقم ١٣، ١٩٩٥.

وإلى جانب سلسلة «تراث الكرمل» المذكورة، أطلق الكرمليّون سلسلة ثانية أسموها «بحوث في تراث الكرمل» فصدر أوّلها سنة ١٩٩١ بعنوان تريزا الأفيليّة. مقاربات في التصوّف، وهو خلاصة أعمال المؤتمر التريزيانيّ الأوّل المنعقد في لبنان يومَيْ ٢٦ و٢٧/ ١/ ١٩٩١؛ وكان الكتاب الثاني قصّة حياة تريز مارتان لمؤلّفه المطران ڤي ڤوشيه وترجمة الأب يوسف قوشاقجي، ١٩٩٢. وعنوان الكتاب الثالث هو يوحنّا الصليب: متصوّف، شاعر ومعلّم الكنيسة (أعمال المؤتمر الكرمليّ الثاني، المنعقد في بيروت - لبنان ١٩٩٢)، وقد صدر في العام ١٩٩٣.

وهاتان السلسلتان تتميّزان بمستواهما الرفيع إن من جهة الترجمة أو من حيث المنهجيّة العلميّة.

وبالإضافة إلى ما سبق، أصدرت الرهبانيّة الكرمليّة سلاسل أخرى وكتبًا متفرّقة أقلّ تخصُّصًا ولكنّها مفيدة لفئات القرّاء الذين تتوجّه إليهم، منها: الصلاة في الحياة لجان لافرانس، تعريب أمير أبونا، طبعة ٢، بيروت، ١٩٩١؛ صلاة الكنيسة لمؤلّفته إديت شتاين، عرّبه الخوري حليم ريشا، بيروت ١٩٩٥؛ البنان الفارضان. رسالة تريز ليزيو، بقلم كونراد دي ميستر، نقلته إلى العربيّة دعد قنّاب حائلة، بيروت، ١٩٩٧؛ تريز الطفل يسوع لمؤلّفته أنيس ريشوم، تعريب الأب ميشال حدّاد، بيروت، ١٩٩٦، (وهو مصوّر، للصغار).

وللكرمليّين في شبرا (مصر) إصدارات أيضًا تعرّف روحانيّة رهبانيّتهم وأعلامها، نذكر بعضها تعميمًا للفائدة: ابنة الكنيسة ومعلّمتها. حياة القدّيسة تريزا الأبيليّة، ١٩٨٠؛ رهبنة الكرمل، ١٩٨٤؛ إرتقاء جبل الكرمل ليوحنّا الصليب، ١٩٩٠؛ حياة القدّيس يوحنّا الصليب، ١٩٩١؛ الوجه الطبيعيّ للقدّيسة تريز ليسوع الطفل، ١٩٩٧. وهذه الكتب، لا سيّما الثالث والأخير منها ذات قيمة كبيرة، وإن كانت لا توازي الكتب الصادرة عن بيروت إخراجًا.

وإنّنا إذ أفضنا في الكلام على مؤلّفات الكرمليّين التي ذكرناها، فلكي نبرز أهمّيّة الدور الذي يضطلع به هؤلاء الرهبان الأفاضل على صعيد المنشورات الروحيّة، ولكي نمهّد لمؤلّف أخير جاء، في نظرنا، حجرَ الغلق في البناء السابق وإكليلًا له، وهو طبعة أعمال تريز الطفل يسوع الكاملة.

لقد صادف العام ١٩٩٧ مرور مائة سنة على وفاة القدّيسة تريز، وفي نهاية هذا العام بالذات أعلنها البابا يوحنّا بولس الثاني معلّمة الكنيسة الجامعة، اعترافًا منه بما قدّمته تلك الراهبة المتواضعة من تعليم أصيل يبرز حقائق الإيمان بحكمة وعمق متميّزَيْن. فكانت الفرصة سانحة لنشر مجموع مؤلّفات تريز نشرًا علميًّا في ترجمة متقنة. ذلك بأنّ القارئ العربيّ العاديّ لم يكن يعرف حتّى اليوم إلّا سيرة القدّيسة الذاتيّة التي نُقِلت إلى لغتنا مرّةً أولى سنة ١٩٢٦ بقلم الخوري يوسف عوّاد، ثمّ توالت الترجمات وكان آخرها بقلم المطران إلياس نجمه في العام ١٩٩٣. كما أنّ رسائل تريز نُقِلَت إلى العربيّة منذ أمد غير بعيد، على يد الأبوَيْن سمعان نصر وفكتور نبعه سنة ١٩٩٢. أمّا الطبعة الحاليّة فتشمل، بالإضافة إلى السيرة والرسائل، المسرحيّات التي ألّفتها الراهبة القدّيسة، وهي ثمان (ص ٢٤٩-٤٢٢)، والقصائد التي تربو على الخمسين (ص ٤٢٣-٦١٠)، والصلوات (ص ٩٥٣-٩٧٦)، والمحاورات الأخيرة (ص ٩٧٧-١١٥٣).

لا بدّ من أن نثني كلّ الثناء على جودة العمل بمجمله، من ترجمة ومقدّمات وحواشٍ وتعليقات وإخراج. إلّا أنّنا نطرح في الختام سؤالًا: لِمَ لَمْ توحَّد ترجمة الأسماء الرهبانيّة المركّبة؟ فقد نقل اسم Thérèse de l'Enfant - Jésus إلى العربيّة بصيغة «تريز الطفل يسوع» وهو الصحيح والمستساغ. أمّا في باب الرسائل، فعُرِّبت الأسماء على نحو ثقيل جدًّا وغير دقيق: Agnès de Jésus صارت «أنيس ليسوع»؛ Marie du Sacré-Cœur صارت «ماري للقلب الأقدس»، إلخ. إنّ استعمال «اللام» غير موفّق، والأفضل أن تستعمل صيغة

المضاف إليه من دون زيادة أو نقصان: ماري القلب الأقدس، أنيس يسوع، ماري الملائكة...

أ. ك. حشيمه

١ - ناسك كفيفان

تأليف جوزف إليان
سلسلة «الشهود»، الرقم ٥٣، المنشورات البولسيّة،
جونيه - بيروت، ١٩٩٧، ١٣٦ صفحة

٢ - الطالب القدّيس

٣ - القدّيس بطرس

٤ - زهرة الشباب

تأليف الأب إميل الحاجّ البولسيّ،
سلسلة «الشهود»، الأرقام ٥٤، ٥٥، ٥٦، المنشورات البولسيّة،
جونيه - بيروت، ١٩٩٧، ١٥٢ و١٧٢ و٢٧٦ صفحة

تتابع منشورات الآباء البولسيّين تزويدنا تُحَفَ سلسلة «الشهود». فهذه الكتيّبات الصغيرة حجمًا، الكبيرة قدرًا والجميلة مظهرًا، تأسر القلوب والنفوس بما تقدّمه من موضوعات مقتبسة من واقع البشر. وهل أبلغ من السِيَر لوصف ما يهمّ الإنسان من شؤون وشجون؟ والتراجم الأربع التي تُعرَض الآن كفيلة، بتنوّعها واختلاف أصحابها، بأن تُظهر نماذج متكاملة لأناس سموا، كلّ بأسلوبه ومواهبه، إلى تحقيق الهدف الذي من أجله وُجدنا جميعًا. فناسك كفيفان، الأخ إسطفان نعمه، راهب من بلادنا وأبناء جيلنا عاش حياة الزاهدين العاملين الصامتين؛ والطالب القدّيس هو دُومينيكو سافيو الذي أكمل في خمسة عشر عامًا شوطه في سُبُل القداسة عائشًا في كنف القدّيس الكبير دون بوسكو حياةً كلّها طاعة للرؤساء والقانون، في المحبّة الأخويّة والسلوك الحسن والبسمة الهادئة، إلى همّة تستنهض الرفاق بغيرة لا تني؛ والقدّيس بطرس، هامة الرسل رفاق المسيح الأوائل، هو واحد منّا، بعظمته وضعفه البشريّ، يذكّرنا بأنّ كلّ إنسان مدعوّ ليكون صخرةً ترتكز عليها الجماعة فلا تزعزعها جحافل الشرّ؛ وزهرة الشباب، القدّيس جان بركمانس الراهب اليسوعيّ المتوفّى ولمّا يتجاوز الثانية والعشرين من عمره بعد أن رقي سلّم القداسة بحياةٍ عاديّة تألّقت بتتميم الواجبات اليوميّة على أكمل وجه في التواضع والمحبّة.

والكتيّبات الأربعة أُنشئت بأسلوب جذّاب تقرأ بلذّة تُنعش الفكر إلى جانب الروح.

أ. ك. حشيمه

ملخّص التعليم المسيحيّ. أسئلة وأجوبة

نقله من الإيطاليّة الأب أغسطينوس شدياق الكرمليّ

توزيع رهبانيّة الكرمليّين في لبنان، الحازمية، ٩٦ صفحة

حين صدر تعليم الكنيسة الكاثوليكيّة المسيحيّ في العام ١٩٩٢، عمد كثير من الكتّاب إلى تناول مضمون هذا التعليم بطرق كثيرة وأساليب مختلفة، محاولين من خلالها استخلاص العنيفة واختصارها. ومنها طريقة «الأسئلة والأجوبة». فارتأى الأب أغسطينوس شدياق الكرمليّ أن ينقل كتيّبًا وُضع بالإيطاليّة واتّبع هذه الطريقة، راجيًا أن يستحسن القارئ العربيّ الطبعة المختصرة هذه لـ «تعليم الكنيسة الكاثوليكيّة المسيحيّ»، ريثما يتيسّر له أن يقرأه كاملًا بالعربيّة.

يتّسم الكتاب، إلى جانب الفهرس العامّ المألوف، بفهرس خاصّ بأهمّ الموضوعات، مع ذكر أرقام الأسئلة التي ترد فيها.

إنّ طريقة «الأسئلة والأجوبة» في التعليم المسيحيّ لها حسناتها كما لها حدودها، إلّا أنّنا نحترم رأي الذين ما زالوا يحبّذونها في أيّامنا، ونتمنّى لهم أن يفيدوا منها، وكتيّب الأب شدياق كفيل بمساعدتهم.

أ. صبحي حمويّ

أعداد المشرق السابقة

جميع مجلّدات المشرق التي ظهرت منذ إعادة إصدار المجلّة، العامَ ١٩٩١، متوفّرة بالأسعار التالية:

١٩٩١ (المجلّد ٦٥) - ٥١٨ صفحة - ١٧ دولارًا
١٩٩٢ (المجلّد ٦٦) - ٥٤٤ صفحة - ١٦ دولارًا
١٩٩٣ (المجلّد ٦٧) - ٥٦٠ صفحة - ١٥ دولارًا
١٩٩٤ (المجلّد ٦٨) - ٥٦٠ صفحة - ١٤ دولارًا
١٩٩٥ (المجلّد ٦٩) - ٥٢٠ صفحة - ١٣ دولارًا
١٩٩٦ (المجلّد ٧٠) - ٥٤٤ صفحة - ١٢ دولارًا
١٩٩٧ (المجلّد ٧١) - ٥٤٤ صفحة - ١١ دولارًا

وهناك مجموعات قديمة، من المجلّد ١ (١٨٩٨) إلى المجلّد ٤٤ (١٩٥٠)، مع الفهارس، متوفّرة لدى الإدارة.

شروط الكتابة في «المشرق»

- تصدر المشرق مرّتين في السنة (كانون الثاني/ يناير، وتمّوز/ يوليو) وفي نحو ٥٥٠ صفحة لمجموع الجزءَين.
- يُرجى من السادة المؤلّفين إرسال مقالاتهم مطبوعة على الآلة الكاتبة أو مكتوبة بخطّ واضح.
- لا تُعاد مخطوطات المقالات إلى أصحابها، سواء أُنْشِرَت أم لم تُنشَر.
- جميع الحقوق محفوظة لمجلّة المشرق.

* * *

بدل الاشتراك عن السنة الواحدة (بما فيه تكاليف الإرسال)

في لبنان وسورية	١٠ دولارات أميركيّة
في مصر	١٥ دولارًا أميركيًّا
في البلدان العربيّة الأخرى	٢٥ دولارًا أميركيًّا
في أوروبّا	٣٥ دولارًا أميركيًّا
في أميركا وأوستراليا	٤٠ دولارًا أميركيًّا

التسديد بواسطة حوالة مصرفيّة لأمر «دار المشرق» على بنك البحر المتوسّط، بيروت. رقم الحساب 1 US$ 11 25120 OA، أو بواسطة شكّ.

Abonnement annuel

Liban et Syrie	10 dollars US
Egypte	15 dollars US
Autres pays arabes	25 dollars US
Europe	35 dollars US
Amérique et Australie	40 dollars US

A régler par *virement bancaire* à l'ordre de «Dar el-Machreq» sur la Banque de la Méditerranée, Beyrouth, N° de compte: 1 US$ 11 25120 OA, ou par chèque.

du christianisme (R. Tomb); M.B. Aoun: *Bayn al-masīḥiyya wa-l-islām. Baḥṯ fī-l-mafāhīm al-asāsiyya*; A. Bsteh et A.T. Khoury: *Al-Isǧā' ilā kalām Allāh fī-l-masīḥiyya wa-l-islām*; M.b. Aoun: *Maqālāt lāhūtiyya fī sabīl al-ḥiwār* (A. Ghazal); A.T. Khoury: *Al-Islām fī 'aqīdatihi wa niẓāmihi* (C. Hechaïmé); B. Khoury: *Qirā'at lil fikr al-'arabī al-ḥālī* (C. Hechaïmé); M.M. Mīrō: *Al-ārā' al-iǧtimā'iyya wa-s-siyāsiyya li Amīn ar-Riḥānī* (C. Hechaïmé); K.R. Sarkis: *Ǧ'ītā; At-turāb al-āḫar; Zaman al-barākīn; Asīr al-farāǧ* (S. Daccache); Y. Ghossoub: *Al-A'māl al-Kāmila* (R. Harfouche); A. et P. Russel: *Tārīḫ Ḥalab aṭ-ṭabī'ī fī-l-qarn aṭ-ṭāmin 'ašar* (C. Hechaïmé); N. Salhab: *La France et les maronites* (C. Hechaïmé); C. Abi-Khalil: *Tārīḫ al-Kaḫḫāleh* (S. Kurī); I. b. Yūḥannā al-Anṭākī: *Sīrat al-baṭriyark Ḫrīsṭūfūrus al-Anṭākī* (C. Hechaïmé); Un groupe d'auteurs: *Dalīl ilā qirā'at tārīḫ al-kanīsa. Al-Kanā'is aš-šarqiyya al-Kāṯūlīkiyya* (S. Hamouī); *Studia Orientalia Christiana. Collectanea 26, 27-28* (C. Hechaïmé); V. Mestrih: *Lexique latin -arabe, arabe-latin du Droit Canon des Eglises Orientales Catholiques* (S. Hamouī); *Ouvrages du P. Paul Féghali* (C. Hechaïmé); A. Khalifé: *Al-Insān fī-l-maǧma' al-Vātīkānī aṭ-ṭānī* (C. Hechaïmé); F. Sidarous; *Lāhūt at-tārīḫ al-bašarī* (C. Hechaïmé); J.-Y. Calvez: *Le Père Arrupe. L'Eglise après le Concile* (S. Daccache); V. Achkarian: *Šadwu-l-'anāqīd* (C. Hechaïmé); P. Mreyati: *Hal anta ma'ī?* (C. Hechaïmé); Th. de l'Enfant-Jésus: *Al-A'māl al-kāmila* (C. Hechaïmé); J. Eliān: *Nāsik Kfifān*; E. Hajj: *Aṭ-ṭālib al-qiddīs; Al-qiddīs Buṭrus; Zahrat aš-šabāb* (C. Hechaïmé); A. Chidiac: *Mulaḫḫaṣ at-ta'līm al-masīḥī. As'ila wa aǧwiba* (C. Hechaïmé)..... 251

niveau d'endettement qui n'est plus supportable et qui perturbe l'économie au lieu de l'aider; le poids des dettes est sans comparaison avec le montant des investissements directs de l'Europe en ces régions et celui de son aide au développement. Enfin les données *politiques* sont celles de conflits qui font de cette région le premier importateur mondial d'armes et le principal client des firmes nord-américaines et européennes dont il absorbe les trois quarts des ventes à l'étranger. Les programmes de partenariat des conférences de Barcelone et de Malte, dont l'article souligne par ailleurs les aspects positifs, devraient être révisés pour tenir compte des données ainsi analysées 179

Le phénomène de la violence politique dans la pensée arabe contemporaine, par le P. Robert Benedicty, S.J.

Dès le milieu des années 60 le phénomène de la violence politique a été perçu par les intellectuels arabes comme un problème social et culturel qui grève les destinées de la Nation, et qui se présente également comme un des instruments du changement politique. Les travaux scientifiques qui ont été produits sur ce sujet en langue arabe entre 1965 et 1996 comprennent près de 148 titres. Pour qui se penche sur les thèmes traités dans ce contexte, il ressort qu'ils s'articulent autour de trois axes principaux: la crise des régimes au pouvoir qui se manifeste dans le cercle de la violence oppressive et de la résistance violente; les essais d'explication de ce phénomène; l'enracinement culturel de la violence 203

Hadiyyat al-Iḫwān fī Šağarat ad-Duḫān, de Muḥammad b. Muḥammad b. 'Abd ar-Razzāq, alias Murtaḍā az-Zabīdī, éditée par Ibrāhīm as-Sāmarrā'ī.

Cette courte épître a été éditée par I. as-Sāmarrā'ī à partir d'un microfilm qui se trouve à l'Université d'Amman sous le n°12 et tiré lui-même du Ms 349 de l'Université de Yale. L'auteur, M. az-Zabīdī, mort en 1205h, est l'auteur du célèbre *Tāğ al-'Arūs*. Il montre que le tabac a été décrit par de nombreux auteurs musulmans anciens, notamment Ad-Dīnawarī (mort en 282h/895), ce qui prouve qu'il était bien connu des Arabes. Ceux-ci le désignaient sous le nom de Ṭubbāq. Par la suite, le terme s'est déformé en Tubbāk, pour devenir, chez les occidentaux, Tabac. Il est revenu chez les Arabes sous la forme Tabağ! 239

Recensions de livres

P.-A. Bernheim: *Jacques, frère de Jésus*; E. Trocmé; *L'enfance*

religieux et civil.

La grille de lecture chrétienne prône le principe de la persévérance dans les valeurs Chrétiennes. Elle responsabilise l'homme et reconnaît à Dieu sa providence d'inspiration et non de gouvernement. Ce n'est pas d'une nouvelle technique de pêche que Jésus a instruit ses disciples, mais de l'espérance. A cause de Sa Parole, l'espérance pousse les disciples déçus à persévérer et à réitérer leurs gestes malgré l'échec de la veille. La Croix n'est autre que cette persévérance même. Cette lecture ressortit à la logique de la foi sur le plan religieux et fonde celle de la liberté sur le plan civil 123

Regard d'un touriste sur la Cappadoce en Turquie, par le P. Salim Daccache, S.J.

La route menant d'Antalya à Konya, ville où Jalal ad-Din ar-Roumi a fondé l'école soufie, ouvre les portes d'une région, au cœur de l'Anatolie, riche en souvenirs et en histoire. C'est en cette région, en Cappadoce, que le christianisme, depuis le 4ème siècle, s'est enraciné pour se développer à travers le temps jusqu'au 14ème siècle. Eglises rupestres, peintures, fresques icônes et ermitages font partie d'un paysage lunaire où les laves des volcans se sont transformées en cônes, pics et grands rochers où l'homme a creusé son habitation. Ce berceau de la civilisation chrétienne reste une pièce originale qui témoigne de la vitalité d'une foi et d'un peuple..... 155

Les relations économiques de l'Union européenne et des pays du Sud et de l'Est de la Méditerranée, par le Père Jean Ducruet, S.J.

Des données démographiques, commerciales, financières et politiques éclairent les problèmes que posent les relations économiques entre l'Union Européenne et les pays du sud et de l'est de la Méditerranée. L'écart *démographique* entre les rives de la Méditerranée, celles du nord et celles du sud et de l'est, accroît encore la disparité des revenus et la poussée de l'émigration; mais la mobilité des hommes ne saurait être traitée comme une simple déficience à éliminer à une époque où l'on prône la mondialisation des échanges. Les données *commerciales* entre l'Europe et les pays du sud et de l'est de la Méditerranée sont asymétriques comptant pour 5% pour l'Europe et 50% pour ses partenaires; elles sont totalement déséquilibrées et risquent de l'être encore plus avec l'élimination des droits de douane que préconise la conférence de Barcelone et le protectionnisme maintenu quant aux échanges agro-alimentaires. Les données *financières* sont celles d'un

une spiritualité de l'union à Dieu est sous-jacente pour ces hommes d'action que sont les ignatiens, qui découvrent la volonté de Dieu non seulement dans la prière, mais aussi dans la vie en général et dans le service en particulier. De ces deux composantes naît *l'humilité amoureuse*, qui consiste à se reconnaître créature venant de Dieu et retournant à Dieu, dans une humilité empreinte d'amour. De cela naît une hymne *à la joie et à l'allégresse*, caractéristique de l'anthropologie ignatienne 85

Problématique de la réunification du Siège patriarcal grec d'Antioche, par le P. Victor Chelhot, S.J.

Le projet de réunification des deux branches du Patriarcat grec d'Antioche, en conflit depuis 1724, remonte à Vatican II et au Décret sur l'Oecuménisme. Il s'est concrétisé en 1974 par l'échange de visites synodales des délégués respectifs des deux Synodes. Ce projet refit surface en diverses circonstances, en particulier à la suite de la rencontre à Balamand, en 1993, de la Commission mixte internationale du dialogue entre l'Eglise Catholique et l'Eglise Orthodoxe dont les conclusions mirent fin à l'Uniatisme et parlèrent d'Eglises soeurs à propos des Eglises catholiques et des Eglises orthodoxes. En 1995, Mgr. E. Zoghby, évêque grec catholique, fit une profession de foi unioniste dont la substance a été reprise par le Communiqué synodal grec cath. en juillet 1996. En octobre de la même année, le Communiqué synodal grec orth., tout en accueillant fraternellement cette initiative, souligna les points qui auraient besoin d'une plus ample étude et rappela que l'Unité antiochienne est inséparable de l'Unité entre l'Orthodoxie et l'Eglise catholique. Enfin, en juin 1997, l'Eglise grec. cath. reçoit du Saint Siège des éclaircissements sur ce projet..... 105

L'initiation apostolique ou la persévérance héroïque dans les valeurs, par Samir el-Khoury.

D'allure pédagogique, le récit de la «pêche miraculeuse» relaté par St Luc (5/1-11) se présente comme une leçon inaugurale à caractère initiatique. De quoi Jésus voulait-il instruire ses disciples dans ce récit? En fonction de quelle vertu orthopraxique a-t-il recruté ceux qui seront les apôtres de la Bonne Nouvelle?

La lecture sacrale de ce récit souligne le principe de la totale soumission à Dieu qui a, pour le monde, un mandat de gouvernement intégral. Elle prolonge la logique de la religion et celle de l'autoritarisme qu'elle sacralise sur les plans

«Al-Machriq» et les questions pédagogiques au temps du Père Louis Cheikho, par Georges F. Salloum.

L'éducation a toujours constitué un ministère privilégié des Jésuites. Dans la ligne de cette vocation, la revue *Al-Machriq*, par la plume de plusieurs confrères du P. L. Cheikho, a consacré de nombreux articles traitant notamment de l'impact de l'éducation sur la vie sociale, des écoles laïques, des méthodes pédagogiques modernes, de la différence entre les internats et les externats, du rôle de la femme dans l'éducation, et même de l'importance à accorder à la langue arabe pour une réelle inculturation de la jeunesse orientale dans son milieu. En tout cela, les auteurs se sont voulus fidèles à leur célèbre *Ratio Studiorum*, et s'ils se montrés parfois polémistes rigides dans leurs affirmations, ils ne prônaient en fait qu'une exigence constructive inspirée de la spiritualité ignatienne qui s'appuie sur l'expérience vécue, la réflexion rigoureuse, l'action constructive et un sain discernement, le tout dans la collaboration avec la famille..... 63

Les études sur la langue arabe dans la revue «Al-Machriq» (1898-1927), par Hiba Chébaro Sinno.

Dès la parution d'*Al-Machriq* (1898) et tout au long de la vie de son initiateur le P. Louis Cheikho (mort en 1927), la revue a accordé à la langue arabe une place de choix. Cet article passe en revue les axes majeurs selon lesquels s'est développée la recherche en ce domaine durant la période indiquée: la phonétique, la morphologie, la syntaxe et la lexicologie arabes; l'emprunt linguistique, le dialectal, l'écriture; les biographies de grammairiens, la publication de manuscrits; la critique linguistique... Toutefois, la défense et l'illustration de la langue arabe dans *Al-Machriq* n'étaient pas de nature à éclipser une réelle prise en considération, sur ses pages, des problèmes que posaient à cette langue l'évolution des sociétés arabes de l'époque..... 73

Composantes de l'anthropologie ignatienne, par le P. Fadel Sidarous, S.J.

Dans un précédent article, publié dans *al-Machriq* en 1991, l'A. dégageait les principaux éléments du «secret de la pédagogie des Jésuites». Dans cet essai, plus religieux, il dégage les trois principales composantes de «l'anthropologie ignatienne». L'homme ignatien (laïc ou religieux) est une personne habitée du *désir de Dieu*: toute une pédagogie spirituelle du «désir» se dégage. Il vise aussi *l'union de sa volonté à celle de Dieu*: toute

SOMMAIRE

Liminaire: *Propos sur le centenaire d'«Al-Machriq»*, par le P. Salim Daccache, S.J. 5

La revue «Al-Machriq» hier et aujourd'hui (1898-1998). Continuité et développements, par le P. Camille Hechaïmé, S.J.

A l'occasion du centenaire d'*Al-Machriq*, l'A. dresse le bilan de ce long cheminement. Il évoque, dans une première partie, les quatre grandes étapes de son histoire: l'époque de L. Cheïkho, le fondateur (1898-1927), celle du deuxième quart de siècle suivant avec notamment le P. Henri Lammens et Fouad E. Boustany (1928-1950), celle ensuite qui vit la direction du Père (depuis Mgr) I.A. Khalifé (1950-1970), et enfin la quatrième, celle de la reprise, après l'interruption forcée entre 1970 et 1990. Dans une deuxième partie, l'A. fait ressortir les grandes composantes de la pensée et de la méthode de la revue, notamment la promotion de la langue arabe, la publication des anciens manuscrits, surtout ceux qui ont trait aux Arabes chrétiens, la participation à l'essor des lettres, des sciences et des arts, et enfin la confrontation de la revue et des grands courants de pensée qu'elle a côtoyés tout au long de son existence féconde 9

Les débuts d'«Al-Machriq» à travers la correspondance entre Louis Cheïkho et quelques hommes de lettres et orientalistes, textes édités par le P. Camille Hechaïmé, S.J.

L'A. de cet article a recueilli, dans les centaines de lettres adressées à L. Cheïkho par un grand nombre de personnalités, quelques extraits qui décrivent les origines de la revue fondée par le célèbre Jésuite: démarches et difficultés pour l'obtention du permis, but et programme de travail de la publication, genre des articles, nombre des abonnés, tracas occasionnés par la censure ottomane, autant de menus détails qui parlent d'une manière directe et vivante et contribuent à une meilleure écriture de l'histoire 49

AL-MACHRIQ

Revue semestrielle culturelle
fondée par
Les Pères de la Compagnie de Jésus
en 1898

Soixante douzième année
1998

DAR EL-MACHREQ